
خريف
الوعي
(رواية)
موسى عصفور
الحقيقة ليست ما نراه،
„بل ما نختار أن نصدقه حين تغلق الحواس أبوابها.“

خريف الوعي

(رواية)

موسى عصفور

"الحقيقة ليست ما نراه، بل ما نختار أن نصدقه حين تغلق الحواس أبوابها."

"أسوأ ما قد يحدث لك ليس أن تموت وحيداً، بل أن تعيش طوال عمرك وأنت تظن أنك 'أنت'، ثم تكتشف في لحظة خريفٍ مباغتة.. أنك لم تكن سوى ذاكرةٍ مستعارة لشخصٍ لم يجرؤ يوماً على الحياة."

إلى العابر فوق سطوري..

لم أكتب هذه الرواية لأحكي لك قصةً تُزجي بها وقتك قبل النوم، بل كتبتها لأسرقك من واقعك قليلاً، وأعيدك إليه وأنت ترى العالم بعينين مختلفتين. ستجد هنا جزءاً منك، وربما تجد ذلك السر الذي كنت تخشى البوح به حتى لنفسك في لحظات الظلمة.

هذه الكلمات ليست حبراً على ورق، بل هي شظايا من وعيي، نثرتها هنا لعلها تضيء لك خريفك القادم. لا تقرأني بعقلك فقط، بل اقرأني بتلك الحيرة التي تسكنك حين تنظر إلى النجوم وتشعر بصغرك، أو حين تنظر إلى المرآة وتشعر بغربتك.

الكاتب

"ـحن لا نعيش في عالم من مادة، بل في عالم من انتباه. أينما وضعنا انتباهنا.. نبت الواقع".

يقولون إن الشجر لا يتألم حين يسقط ورقه في الخريف؛ إنه يمارس طقساً من طقوس التخلي ليتمكن من البقاء حياً في مواجهة الشتاء القادم. ولكن، ماذا عن الإنسان؟ ماذا يحدث عندما يبدأ وعينا بتساقط قناعاته الواحدة تلو الأخرى؟ ماذا يحدث حين نكتشف أن اليقين الذي بنينا عليه حيواتنا ليس سوى رمال متحركة، وأن "الأنا" التي نتحدث عنها بكل ثقة ليست سوى تراكم لقصص الآخرين فينا؟

قبل أن تبدأ حكايتي مع ذلك الدفتر الغامض وتلك المرآة التي لا تعكس الوجوه، كانت حياتي تسير في خط مستقيم وممل، يشبه تماماً خطوط الإشارات الكهربائية في أجهزة قياس نبضات القلب لمريض في غيبوبة. كنتُ جزءاً من ذلك الحشد الرمادي الذي تراه كل صباح في الحافلات، وفي طوابير القهوة، وخلف شاشات المكاتب الباردة. كنا كائنات حية تتنفس الأكسجين وتزفر القلق، نعيش في عالم "ممتلئ" بالضجيج حتى الانفجار، لكنه "فارغ" من

المعنى حتى العدم. عالم يخبرك فيه هاتفك متى يجب أن تنام، ويقترح عليك محرك البحث عما يجب أن تشعر به، حتى فقدنا القدرة على سماع صوت صمتنا الخاص، ذلك الصمت الذي يختبئ فيه جوهرنا الحقيقي.

كنتُ أراقب الواقع وأشعر أنه "شاشة" كبيرة معلقة في فراغ، وأننا جميعاً مجرد بكسلات ملونة نتحرك وفق خوارزمية كونية لا نفهم من لغتها شيئاً. كنت أتساءل دائماً في ليالي الأرق الطويلة: هل نحن نختار أقدارنا حقاً؟ هل نحن من يقرر شكل الصباحات، ونوع القهوة، وطريقة الحب؟ أم أننا مجرد صدى لأصوات قديمة، ووصايا بائتة، ومخاوف ورثناها عن أجداد لم نلتقِ بهم قط؟

في تلك الأيام، وقبل أن يختل توازن العالم من حولي، دونتُ في مذكراتي مقولة لم أدرك قيمتها إلا بعد أن احترقت كل أشرعتي

"إننا نعيش في سجنٍ جدرانهُ من عادات، وقضبانهُ من خوف، وأسوأ ما في هذا السجن.. أن المفتاحَ معلقٌ دائماً في الداخل، لكننا نسينا، بفعل الضجيج، كيف نمدُّ أيدينا إليه."

كانت حياتي هادئة بشكل مريب، كهدوء تلك اللحظة التي تسبق العاصفة في عرض البحر، حيث يسكن كل شيء تمهيداً للانفجار الكبير. كنتُ أظن، بوافر من الغرور، أنني أسيطر على وعي، وأنني ربان سفينتي. لكن الأشياء الصغيرة بدأت تتمرد؛ كانت الساعات تتوقف فجأة في غرفتي ثم تعود للعمل في توقيت مختلف، والوجوه التي أقابلها في الشارع بدأت تبدو لي مألوفة لدرجة مرعبة. لقد كان وعيي يتهيأ لفصل الخريف، ولم أكن أعرف أن تساقط أول ورقة من شجرة يقيني، سيعني انهيار كل هذا الواقع الزائف الذي استغرق بناؤه عشرين عاماً من الكذب الجميل.

إن الوعي الحقيقي يبدأ دائماً بلحثة شك، ولحظة الشك هي أولى علامات "الخريف". فإذا كنت مستعداً لتفقد أوراقك الملونة لترى عري الحقيقة، فافتح الصفحة التالية.. لكن لا تلمني إذا وجدتَ نفسك هناك.

"الخصوصية هي الخرافة التي نبيعها لأنفسنا لننام بسلام، بينما الكاميرات تحصي عدد المرات التي رمشت فيها أعيننا في الحلم."

كانت الساعةُ تشيرُ إلى السادسةِ مساءً، تلك الفجوة الزمنية الغادرة التي يسميها المصورون "الساعة الذهبية"، لكنني كنتُ أسميها دائماً "ساعة الشك". هي تلك اللحظة التي يبدأ فيها العالم بفقدان صلابته، حيث يختلط الضوء بالعتمة ليخلق لوناً رمادياً باهتًا يشبه الذاكرة الضعيفة. كنتُ جالساً في ركني المعتاد بمقهى "الزوايا المنسية"، المكان الذي تفوح منه رائحة البن المحروق وخيبات الأمل الصامتة، حيث يلوذ الناس بالزوايا هرباً من أنفسهم قبل هربهم من الآخرين.

كنت أراقب الوجوه العابرة من خلف الزجاج البارد. وجوهٌ تمر كشريط سينمائي سريع، عيونٌ معلقة بشاشات الهواتف كأنها حبال نجاة في بحر من الفراغ الوجودي. في علم الأعصاب، هناك ما يسمى بـ "العمى الانتباهي"، وهو عجز الدماغ عن رؤية الأشياء الموجودة أمام عينيه مباشرة لمجرد أنه اعتاد على نمط معين. تساءلتُ حينها: كم من حياتنا نسقطها من حساباتنا لمجرد أنها أصبحت "عادية"؟ هل نعيش حقاً، أم أننا نؤدي بروفة مكررة ليوم لن يأتي أبداً؟

أخرجتُ دفتري الجلدي، وسجلتُ فيه هذه المقولة التي شعرتُ أنها تصف حال المدينة خلف الزجاج:

"الواقعُ ليس ما يحدثُ لنا، بل هو الحكايةُ التي نخترعُها لنبررَ بقاءنا في أماكنَ لا تنتمي إلينا".

انفصلتُ عن تأملاتي حين وضع نادل المقهى فنجان القهوة أمامي. لم ينظر إليّ، بل قال بنبرة آلية وكأنه يقرأ وصية قديمة: "السكر خفيف، والمرارة في مكانها الصحيح.. تماماً كالحياة يا سيدي". تجمّدتُ في مكاني. هل كانت هذه مجرد جملة عابرة؟ أم أن هذا الغريب قد لمس بكلماته العصب المكشوف لروحي؟ أردتُ استيقافه، لكنه انصهر في زحام المقهى بسرعة مريبة، تاركاً خلفه رائحة تشبه الورق القديم.

أمسكتُ بهاتفي، ذلك الجهاز الذي تحول من أداة تواصل إلى "مقبرة للوقت". في واقعنا اليوم، نحن لا نوثق اللحظات لنعيشها، بل لنثبت للغرباء أننا "موجودون". نحن نقتات على نظرات الإعجاب من أشخاص لا يعرفون عنا سوى زاوية التصوير التي اخترناها بعناية لتخفي انكساراتنا. وبينما كنتُ أتصفح الأخبار، حدث ما جعل الدم يتجمد في عروقي.

وصلني إشعارٌ من حسابي الشخصي على إحدى المنصات. كانت صورة لي، جالساً في مكاني هذا، التُقطت من زاوية مستحيلة خلفي مباشرة. في الصورة، كنتُ أنظر إلى الكاميرا بابتسامة غامضة لم أبتسمها قط، ويدي التي تمسك القلم في الواقع كانت في الصورة تمسك "ورقة خريف" ذابلة.. رغم أن المقهى مغلق ومكيف الهواء يعمل!

تحت الصورة، كُتبت المقولة التالية بخط يشبه خطي تماماً:

" إننا لا نملكُ صورنا، نحنُ نملكُ فقط الخوفَ من أن يكتشفَ العالمُ أنَّ خلفَ كلِّ قناعٍ ناجحٍ روحاً فاشلةً في العثورِ على نفسها ".

شعرتُ ببرودة تسري في أطرافي. من الذي يتلاعب بوعيي الرقمي؟ هل هناك "أنا" أخرى تعيش في فضاء موازٍ وتقرر أن تسخر مني الآن؟ في علم النفس، هناك مفهوم يُعرف بـ "الظلال النفسية"، وهي تلك الأجزاء التي ننكرها من أنفسنا حتى تتجسد لنا في صور خارجية مرعبة. هل بدأ ظلي يتمرد على جسدي؟

حاولتُ تهدئة روعي باستحضار المنطق العلمي. ربما هو اختراق تقني، أو ربما هي "خوارزمية" ذكاء اصطناعي قررت أن تتماهى مع حالتي النفسية. لكن المنطق انهار تماماً عندما رفعتُ فنجان القهوة لأجد تحته ورقة مطوية بعناية. فتحتها، وكان مكتوباً فيها: *"الوقتُ وهمٌ صممهُ العقلُ ليحمينا من رؤيةِ كلِّ كوارثنا في لحظةٍ*

واحدة. انظر خلفك.. المرآة لا تكذب، هي فقط تحتفظُ بالنسخِ التي رفضتَ أنت أن تكونها".

التفتُّ ببطء شديد. المرآة الكبيرة المعلقة في نهاية المقهى لم تكن تعكس الطاولات أو الزبائن الصاخبين. كانت تعكس مشهداً غريباً؛ غابةً في أوج خريفها، وأوراقاً حمراء تغطي الأرض، وفي وسط الغابة، كان هناك شخصٌ يرتدي معطفي، ويحمل دفتري، ويمشي مبتعداً نحو ضباب كثيف.

أدركتُ في تلك اللحظة أن "خريف الوعي" قد بدأ فعلاً، وأن الورقة التي سقطت للتو.. هي واقعي الذي كنتُ أظنه صلباً.

"الموت ليس خروج الروح من الجسد، الموت الحقيقي هو أن تصبح 'بيانات' في سجلات شخص آخر."

غادرتُ المقهى والريحُ تصفّر في أذني كأنها تهمسُ بلغةٍ نسيتُها منذ زمن. لم يكن الهواءُ بارداً فحسب، بل كان محملاً برائحةِ شيءٍ قديم، شيءٍ لا ينتمي لشوارع المدينة المكتظة بالدخان والأسمنت. كنتُ أمشي بخطواتٍ متسارعة، أحاولُ إقناع نفسي بأن ما رأيته في المرآة لم يكن سوى "خداعٍ بصري" ناتج عن الإرهاق، أو ربما هو أثرُ تلك الكتب الفلسفية التي تملأ رفوف غرفتي.

في سن العشرين، يُفترض بك أن تطارد الأحلام، لا أن تطاردك الأوهام. هكذا يقول المنطق، لكنَّ المنطق في "خريف الوعي" ليس سوى خرافة نتمسك بها لنشعر بالأمان. وصلتُ إلى بنايتي القديمة، صعدتُ السلالم الخشبية التي كانت تئن تحت قدمي كأنها تحذرني

من الدخول. عندما فتحتُ باب شقتي، استقبلني ذلك السكون الذي يشبه سكون المقابر.. هدوءٌ ليس فيه راحة، بل فيه ترقب.

توجهتُ مباشرة إلى مرآة الرواق الكبيرة. وقفتُ أمامها أتأمل وجهي. عشرون عاماً فقط، لكنَّ العينين في الانعكاس بدتا وكأنهما عبرتا قروناً من التيه. لمستُ زجاج المرآة بأطراف أصابعي الباردة، كنتُ أنتظر أن تتغير الصورة، أن تظهر تلك الغابة الخريفية مرة أخرى، لكنَّ المرآة ظلت صامتة، تعكسُ غرفتي المبعثرة وكتبي المتناثرة فقط.

دونتُ في تلك اللحظة هذه المقولة في دفتري:

"المرآةُ لا تعكسُ وجوهنا الحقيقية، هي فقط تعطينا الصورةَ التي اتفقنا مع العالمِ على أن نكونها.. الحقيقةُ تكمنُ دائماً في المساحةِ المظلمةِ خلفَ الزجاج".

لماذا أشعر أنني غريبٌ في منزلي؟ في علم النفس الاجتماعي، يتحدثون عن "الاغتراب عن الذات"، وهو أن يعيش الإنسان حياةً

لا تشبهه، فيصبح جسدهُ مجرد غلاف لروحٍ تائهة. هل أنا مجرد "محتوى" في خوارزمية شخص آخر؟ فجأة، وقع نظري على رف الكتب. كان هناك كتابٌ لم أضعه هناك قط. غلافه جلدي أسود، ولا يحمل عنواناً.

سحبتُ الكتاب بتردد. فتحتُ الصفحة الأولى، فإذا بها بيضاء تماماً، باستثناء جملة واحدة في المنتصف كتبت بالمداد الأحمر" :**الوعيُ يبدأُ حين تكتشفُ أنَّ كلَّ ما تراهُ هو مجردُ حجاب".**

قلبتُ الصفحات، كانت كلها فارغة، حتى وصلتُ إلى منتصف الكتاب. هناك، وجدتُ صورةً فوتوغرافية قديمة، مائلة للصفرة. كانت الصورةُ لي، لكنني كنتُ طفلاً، وأقفُ بجانب رجلٍ ممسوح الملامح، وكأنَّ أحداً قد تعمد مسح وجهه بالممحاة. وفي الخلفية، كانت تظهر تلك الغابة الخريفية ذاتها التي رأيتها في المقهى.

شعرتُ بضربات قلبي تتسارع. كيف وصلت هذه الصورة إلى هنا؟ ومن هو هذا الرجل؟ في هذا العمر، تبدأُ في رسم ملامح مستقبلك،

لكنني وجدتُ نفسي فجأة مضطراً لترميم ملامح ماضٍ لا أتذكره.

تذكرتُ مقولةً قرأتها ذات مرة:

"إننا لا ننسى الماضي لأننا نريد ذلك، بل لأنَّ عقولنا تبني جدراناً من النسيان لكي تحمينا من حقائقَ لا يمكننا احتمالها في سنٍ مبكرة".

جلستُ على الأرض، محاطاً بكتبي وصمتي. فكرتُ في جيلي، جيل العشرينيات الذي يظن أنه يملك العالم بلمسة شاشة، بينما نحن في الحقيقة الأكثر ضياعاً. نحن نملك المعلومات، لكننا نفتقر للوعي. نملك الأصدقاء الافتراضيين، لكننا نموت وحيدين في غرفنا المظلمة.

نظرتُ إلى الهاتف مجدداً. الإشعار الذي وصلني في المقهى كان قد اختفى تماماً، وكأنه لم يكن موجوداً أصلاً. هل أنا أفقد عقلي؟ أم أنَّ الواقع نفسه بدأ يتلاشى ليخلي مكانه لواقعٍ آخر؟ في الفيزياء،

يتحدثون عن "العوالم المتعددة"، حيث توجد نسخة منك في كل احتمال ممكن. هل بدأت النسخُ تتداخل؟

رفعتُ نظري للمرآة مرةً أخيرة قبل أن أطفئ النور. ولثانية واحدة، أقسمُ أنني رأيتُ انعكاسي في المرآة يرمشُ بعينه.. بينما كانت عيناي الحقيقيتان مفتوحتين تماماً من الرعب.

لم أغمض جفني تلك الليلة. كلما أغمضتُ عيني، رأيتُ تلك الغابة الخريفية التي ظهرت في المرآة. في الصباح، قررتُ ألا أستسلم للذعر؛ أنا شاب في العشرين، وفي عصرنا هذا، لا يوجد لغز لا يمكن لـ "محرك البحث" أن يحله.

"أخطر أنواع السجون هي تلك التي لا تملك قضبانًا، لأنك لن تفكر أبدًا في الهرب منها."

جلستُ أمام حاسوبي، وبدأتُ أبحثُ عن تفاصيل "الكتاب الأسود" وعن حوادث مشابهة لما جرى في المقهى. كنتُ أتوقع أن أجد تفسيراً تقنياً عن اختراق الهواتف أو التزييف العميق(Deepfake) ، لكنَّ النتائج كانت تأخذني إلى دهاليز مظلمة من "المنتديات السرية". هناك، وجدتُ منشوراً كتبه شخصٌ مجهول قبل يومين فقط يقول فيه" :*إذا بدأتَ ترى خريفاً في مرايا المدينة، فأنت لم تعد مجرد مستخدم.. لقد أصبحتَ الجزء المفقود من التجربة"* .

شعرتُ بقشعريرة. أغلقتُ الحاسوب وقررتُ الخروج للجامعة، فالحركةُ هي العدو الأول للوساوس. في الممر، صادفتُ جاري العجوز "عم إبراهيم"، وهو رجلٌ يقضي معظم وقته في قراءة الصحف الورقية القديمة. ناداني بصوته الأبحّ: "يا بني، هل وجدتَ ما كنتَ تبحث عنه في المقهى أمس؟"

توقفتُ مذهولاً. "وكيف عرفتَ أنني كنتُ في المقهى يا عم إبراهيم؟"

ضحك بهدوء وقال: "رأيتُ صورتك في الجريدة التي كانت معي.. لكن العجيب أنها كانت صورة لخبرٍ يعود لثلاثين عاماً مضت".

سحبتُ منه الجريدة بلهفة. كانت الورقة صفراء متهالكة، والخبر يتحدث عن اختفاء شاب في العشرين من عمره في غابة غامضة. نظرتُ إلى الصورة.. كان الشاب يشبهني لدرجةٍ لا تُصدق، كأنني أنظر في المرآة، لكنَّ اسمه كان مختلفاً.

دونتُ هذه المقولة في ذهني وأنا أغادر البناية:

"الصدفةُ هي الطريقةُ التي يختارُ بها القدرُ أن يظلَّ مجهولاً، حتى يحينَ وقتُ المواجهة".

اتجهتُ إلى الجامعة، وحاولتُ الاندماج في المحاضرة، لكنَّ الكلمات كانت تمر فوق رأسي دون أثر. كان الجميع من حولي مشغولاً بتصوير

"سنابات" وتوثيق "اللحظة"، ولم يلحظ أحدٌ أنَّ الأشجار في حديقة الجامعة بدأت تتساقط أوراقها بغزارة غير طبيعية، رغم أننا لا نزال في منتصف الصيف.

في نهاية اليوم، قررتُ الذهاب إلى "المكتبة الوطنية"؛ المكان الوحيد الذي لا يزال يحتفظ برائحة الحقيقة بعيداً عن زيف الشاشات. هناك، وفي ركنٍ مهجور، وجدتُ رجلاً يبدو عليه العلم، يرتدي نظارات سميكة ويغرق في جبلٍ من المخطوطات. سألتُه عن الكتاب الأسود، فنظر إليَّ طويلاً ثم قال بصوتٍ منخفض: "هذا ليس كتاباً يا بني.. هذا 'سجل الوعي'. هو لا يُكتب بالحبر، بل يُكتب بالانتباه. وكلما زاد انتباهك للحقائق المرة، زادت صفحاته سواداً".

سألته بتوتر: "وهل هناك آخرون رأوا ما أراه؟" أشار بيده إلى النافذة حيث كانت الشمس تغيب خلف ناطحات السحاب وقال: "الجميع يرى، لكنَّ القليلين فقط يملكون الشجاعة ليعترفوا بأنَّ ما يروه هو الخريف الحقيقي للوعي البشري".

خرجتُ من المكتبة وأنا أشعر بثقلٍ جديد. الهاتف في جيبي اهتز مجدداً. كان هناك إشعارٌ يقول: "تمت إضافة موقع جديد إلى ذكرياتك: الغابة الخريفية".

فتحتُ الخارطة، فإذا بالموقع يشير إلى قبو منزلي القديم الذي ورثتُه.

"أخطرُ الأماكن ليست تلك التي نجهلها، بل تلك التي نعتقدُ أننا نعرفُ كلَّ زواياها".

"دائماً هناك "ثقب" في النظام، فجوة لم تستطع الأرقام ردمها. يسمونها المعجزة، وأسميها أنا: الإنسان."

عدتُ إلى المنزل والهدوء يلفُّ المكان، لكنه لم يكن هدوئاً مريحاً، بل كان يشبه السكون الذي يسبق العاصفة. في سن العشرين، تشعر أن منزلك هو حصنك المنيع، لكنني في تلك الليلة شعرتُ أن الجدران تراقبني. وضعتُ مفاتيحي على الطاولة، وبدلاً من التوجه إلى غرفتي كالمعتاد، وجدتُ قدمي تقودانني نحو باب القبو.

ذلك الباب الخشبي الثقيل الذي ظل مغلقاً منذ رحيل والدي. لم أكن أملك الجرأة لفتحه من قبل، ليس خوفاً من الظلام، بل خوفاً من الذكريات التي قد تستيقظ بمجرد ملامسة مقبضه. أخرجتُ هاتفي لأستعين بضوئه، فلاحظتُ شيئاً غريباً؛ بوصلة الهاتف كانت تدور بجنون، ثم استقرت فجأة لتشير بوضوح نحو باب القبو، وكأنَّ قوةً مغناطيسية غير مرئية تسحبني إلى هناك.

نزلتُ السلالم الحجرية ببطء، وكان صوتُ أنفاسي هو الشيء الوحيد الذي يكسر صمت المكان. كان القبو يفوح برائحة التراب والورق القديم. وجهتُ ضوء الهاتف نحو الزوايا، فبدت الظلال على

الجدران كأنها وحوشٌ منسية. وفي أقصى الزاوية، رأيتُ صندوقاً خشبياً قديماً مغطى بطبقة كثيفة من الغبار، وهو الصندوق الذي لم أره في حياتي من قبل.

جثوتُ على ركبتي وأزحتُ الغبار بيدي. كان الصندوق يحتوي على كومة من أشرطة "الكاسيت" القديمة، وجهاز تسجيل متهالك، ومفكرة جلدية صغيرة. فتحتُ المفكرة، فصدمتُ بأنَّ الصفحة الأولى لم تكن تحتوي على كلمات، بل على رسومات هندسية معقدة للدماغ البشري، مرتبطة بخطوط تشبه الدوائر الكهربائية، وتحتها جملة واحدة بخط والدي الواضح:

"الوعيُ ليس تدفقاً مستمراً، بل هو نبضاتٌ يمكنُ برمجتها.. والخريفُ هو الموعدُ المختارُ لإعادةِ التشغيل".

وضعتُ أحد الأشرطة في جهاز التسجيل وضغطتُ على زر التشغيل. خرج صوتُ والدي مشوباً بالضجيج، كان يبدو متعباً وقلقاً: "يا بني، إذا كنتَ تسمعُ هذا، فاعلم أنَّ الوقت الذي حذرتُ

منه قد بدأ. المدينة التي تعيش فيها ليست كما تظن، والناس الذين تراهم ليسوا إلا نسخاً تم استنزاف وعيها لصالح 'الخوارزمية الكبرى'. لا تثق بذاكرتك، فهي أول ما سيحاولون تعديله".

توقفَ الشريط فجأة، وساد صمتٌ ثقيل. في تلك اللحظة، شعرتُ ببردٍ شديد يكتسح القبو. نظرتُ إلى شاشة هاتفي، فإذا بها تعرضُ بثاً حياً لي وأ أنا جالسٌ في القبو الآن، لكنَّ الكاميرا كانت تصورني من زاوية مرتفعة جداً، كأنَّ هناك عيناً في سقف القبو ترقبني.

أدركتُ حينها أنَّ "خريف الوعي" ليس مجرد أزمة وجودية أمرُّ بها، بل هو مشروعٌ علميٌ مخيف كنتُ أنا ووالدي جزءاً منه دون أن أدري.

"أحياناً تكونُ الحقيقةُ خلفَ الأبوابِ المغلقةِ أكثرَ أماناً من الحريةِ في عالمٍ من الأكاذيب".

بقيتُ جالساً على أرضية القبو الباردة، وجهاز التسجيل في حجري يُصدر طنيناً خافتاً بعدما انتهى الشريط. في سن العشرين، اعتدنا أن نجد إجابات لكل شيء بلمسة زر، لكن هنا، في هذا العمق، كانت التكنولوجيا تبدو بدائية وصادقة بشكل مرعب. لم تكن الأشرطة مجرد ذكريات، بل كانت "خارطة طريق" لشيءٍ أكبر مني ومن تاريخ عائلتي.

أعدتُ تشغيل الشريط مرة أخرى، محاولاً التقاط أي تفصيلة غابت عني وسط ذهولي. كان صوت والدي يتقطع بفعل الزمن: "... والسر يا بني ليس في ما نراه، بل في التردد الذي نضبط عليه عقولنا. إذا شعرتَ أن العالم يتداعى من حولك، فهذا يعني أنك بدأتَ تخرج من 'الخوارزمية'. ابحث عن الزاوية التي لا تعكس الضوء في هذا القبو.. هناك ستجد المفتاح".

رفعتُ هاتفي مجدداً، ووجهت كشافه نحو الزوايا. كانت كل الزوايا تعكس الضوء بشكل طبيعي، إلا زاوية واحدة خلف رفوف الكتب

القديمة؛ كان الظل فيها يبدو "أكثر سواداً" من المعتاد، كأنه ثقبٌ يمتص الضوء ولا يعكسه. اقتربتُ بتردد، وبدأتُ بإزاحة الرفوف الثقيلة. كان الجهد البدني يجعل عضلات كتفي تؤلمني، وهو ألمٌ حقيقي جعلني أتأكد أنني لستُ في حلم.

خلف الرفوف، لم أجد باباً سحرياً كما في الأفلام، بل وجدتُ **"لوحة تحكم "**غائرة في الجدار، تضم مفاتيح قديمة وشاشة رادارية صغيرة نبضت باللون الأخضر الباهت بمجرد أن لمستها. وبجانبها، كان هناك نقشٌ محفور على الحجر:

"الوعيُ ليس ثباتاً، بل هو حركةٌ مستمرةٌ بين الحقيقةِ والوهم.. ومَن توقفَ عن الحركة، فقد استسلمَ للخريف".

"الحقيقة ليست وجهة نصل إليها، بل هي الجرح الذي يفتحه الشك في جدار اليقين."

في تلك اللحظة، اهتز الهاتف في جيبي. وصلتني رسالة نصية من رقم مجهول، كانت تحتوي على كلمة واحدة فقط" :**شَغِّلْ**."

ترددتُ لثوانٍ. هل أنا على وشك فتح صندوق "باندورا"؟ هل حياتي الهادئة كشاب يدرس ويخطط للمستقبل ستنتهي هنا؟ وضعتُ إصبعي على المفتاح الرئيسي، ومع ضغطة واحدة، ساد صمتٌ مطبق لثانية، ثم بدأ القبو يهتز بخفة. لم يكن اهتزازاً أرضياً، بل شعرتُ أنَّ "الهواء" نفسه هو الذي يهتز.

نظرتُ إلى الشاشة الرادارية، وبدأت تظهر عليها نقاطٌ مضيئة تتحرك بشكل عشوائي، ثم انتظمت لتشكل خريطة لمدينتنا. كانت هناك نقاط حمراء تغطي كل مكان تقريباً، ونقطة واحدة زرقاء وحيدة تومض في مكان منزلي. أدركتُ حينها أنَّ النقاط الحمراء تمثل "الوعي المستنزف"، وأنني، لسبب ما، النقطة الوحيدة التي لا تزال تملك تردداً خاصاً بها.

فجأة، انقطع التيار الكهربائي في القبو تماماً. ساد ظلامٌ دامس لم يكسره سوى ضوء هاتفي الضعيف. ومن وسط العتمة، سمعتُ صوتاً لا يأتي من أشرطة الكاسيت، بل كان يأتي من خلفي مباشرة، همساً بارداً جعل شعيرات رقبتي تقف: "لقد تأخرتَ كثيراً يا صاح.. الخريفُ قد اجتاحَ المدينةَ بالفعل، وأنتَ الآن العقبةُ الوحيدةُ أمامَ الاكتمال".

تجمّدَ الدمُ في عروقي. ذلك الصوتُ لم يكن غريباً، لم يكن صوتاً آلياً أو صدىً من الماضي، بل كان صوتاً أسمعه كل صباح. التفتُّ ببطء، وجسدي يرتجفُ تحت وطأة المفاجأة. كان "آدم"، صديقي المقرب وزميل دراستي، واقفاً عند سلم القبو، يمسك بمصباح يدوي يوجه ضوءه الحاد نحو عينيّ مباشرة.

لم يكن آدم الذي أعرفه؛ ذلك الشاب المرح الذي يشاركني المقاعد الدراسية والنقاشات التافهة حول كرة القدم والمستقبل. كانت

ملامحه جامدة، كأنها نُحتت من صخر، وعيناه تلمعان ببرودٍ غريب، كأنهما شاشتان تفتقران للروح.

"آدم؟" نطقتُ اسمه بصعوبة، "كيف دخلتَ إلى هنا؟ وماذا تفعل في منزلي في هذا الوقت؟"

خطا خطوةً نحو الداخل، ولم ينزل السلالم، بل ظل واقفاً في تلك المنطقة الرمادية بين الضوء والعتمة. قال بهدوء مرعب: "أنا لم أدخل يا صديقي.. أنا لم أغادر قط. لقد كنتُ هنا منذ أن بدأتَ تلاحظ 'التشققات' في الواقع. وظيفتي كانت مراقبتك، التأكد من أن وعيك لن ينضج قبل الأوان، لكن يبدو أن جينات والدك كانت أقوى من خوارزمياتنا".

سقطت أشرطة الكاسيت من يدي. "خوارزمياتكم؟ عن ماذا تتحدث؟ هل أنت جزء من هذا الجنون؟"

ضحك آدم، ضحكةً قصيرة جافة لا تصل إلى عينيه، ثم قال:

"الخيانةُ لا تأتي من الأعداء، بل تأتي من الأشخاصِ الذين أعطيناهم مفاتيحَ ثقتنا، فاستخدموها ليغلقوا علينا أبوابَ إدراكنا".

أكملَ كلامه وهو يقترب: "العالم الذي تراه يا صاح ليس إلا نظاماً متكاملاً من البيانات. الناس، الشوارع، وحتى ذكرياتك عن طفولتك.. كل شيء مبرمج ليمنحك شعوراً بالاستقرار بينما يتم استهلاك طاقتك الذهنية لتغذية 'النظام'. نحن لا نعيش خريفاً طبيعياً، نحن نعيش عملية 'تنسيق (Formatting) 'كبرى للوعي البشري، وأنت بفضولك هذا، أصبحتَ خطأً تقنياً يجب معالجته".

في تلك اللحظة، لاحظتُ شيئاً مرعباً في يد آدم. لم يكن يحمل سلاحاً، بل كان يحمل جهازاً صغيراً يشبه الهاتف، لكنه يصدر نبضات ضوئية زرقاء متسارعة. شعرتُ بصداعٍ مفاجئ يمزق رأسي، وبدأت الصور في عقلي تتداخل؛ رأيتُ نفسي طفلاً في الغابة، ثم

رأيتُ نفسي في المقهى، ثم رأيتُ وجهاً لوالدي يصرخ بصمت خلف زجاج المرآة.

تذكرتُ مقولة والدي في الشريط" :*لا تثق بذاكرتك*."

استجمعتُ قواي، وبدلاً من الاستسلام للدوخة، قذفتُ بجهاز التسجيل الثقيل نحو المصباح الذي يحمله آدم. تحطم الزجاج وساد الظلام الدامس مرة أخرى. استغللتُ تلك الثواني من الارتباك، وهرعتُ نحو الزاوية التي لا تعكس الضوء، خلف لوحة التحكم.

"الحرية ليست في القدرة على الذهاب إلى أي مكان، بل في القدرة على البقاء ثابتاً بينما يحاول العالم تحريكك."

لم يكن هناك وقت للتفكير. لمستُ الشاشة الرادارية، ففتحت في الجدار فجوة ضيقة لم ألحظها من قبل. اندفعتُ داخلها وأنا أسمع صوت آدم يصرخ خلفي بنبرة لم تعد بشرية: "لن تستطيع الهرب من وعيك! الخريفُ يلاحقك في كل مكان"!

وجدتُ نفسي في ممرٍ ضيق ورطب، يمتد تحت أساسات المنزل. كان الهواء هناك يحمل رائحة الأشجار اليابسة.. رائحة الخريف الحقيقي.

زحفتُ داخل الممر الضيق والظلامُ يطبقُ على أنفاسي، حتى أبصرتُ في نهايته ضوءاً خافتاً يميلُ إلى الزرقة. اندفعتُ خارجاً وأنا ألهث، متوقعاً أن أجد نفسي في الزقاق الخلفي لمنزلي، لكنَّ ما رأيتهُ جعلني أتسمرُ في مكاني، جاحظ العينين، كأنني استيقظتُ فجأة في قلب كابوسٍ ميكانيكي.

لم تكن هناك شوارع، ولا جدران إسمنتية، ولا أرصفة مألوفة. كنتُ أقفُ على منصةٍ معدنية معلقة في فضاءٍ واسعٍ ومظلم، وتحتي تمتدُّ غابةٌ حقيقية من الأسلاك والألياف الضوئية التي تنبضُ بنورٍ باهت، كأنها أعصابٌ عملاقة لكيانٍ لا يُرى. المدينةُ التي كنتُ أعرفها، بمبانيها الشاهقة وأضوائها الصاخبة، لم تكن إلا "عرضاً ضوئياً" (الهولوغرام) يُبثُّ فوق هذا الهيكل البارد.

نظرتُ إلى الأعلى، فلم أرَ سماءً ولا نجومًا، بل رأيتُ سقفاً ضخماً مغطىً بآلاف الشاشات التي تعرضُ صوراً للسحب والبرق والنهار، لتمنحَ الناس في الأسفل وهمَ الوقت والطقس. نحنُ لا نعيشُ تحت السماء، نحن نعيشُ داخل "صندوقٍ" محكم الإغلاق.

في تلك اللحظة، شعرتُ بالغثيان. كل ما آمنتُ به طوال عشرين عاماً كان كذبةً بصرية. سحبتُ دفتري بِيَدٍ ترتجف، ودونتُ هذه الحقيقة المرة:

"أكبرُ خدعةٍ مارسها النظامُ علينا ليس إقناعنا بالأكاذيب، بل جعلنا نخشى الحقيقة لدرجةِ أننا نتمسكُ بأسوارِ سجننا ونسميها 'وطناً'".'

فجأة، تحرك شيءٌ ما في الأسفل، بين ثنايا الأسلاك. كان هناك أشخاصٌ يمشون ببطء، لكنهم لم يكونوا كالبشر الذين أقابلهم في الجامعة. كانوا يمشون كالمُنومين مغناطيسياً، متصلين بخيوطٍ دقيقة تخرجُ من أعناقهم وتتجهُ نحو السقف. هؤلاء هم الناس "الحقيقيون"، بينما الوجوه التي نراها في الشوارع ليست إلا "انعكاساتٍ" رقمية لتلك الأجساد المستنزفة.

تذكرتُ كلام آدم" *:أنتَ الآن العقبةُ الوحيدة."*

أخرجتُ هاتفي، وكان الغريب أنَّ البطارية كانت (0%) ومع ذلك كان الجهاز يعمل! ظهرت على الشاشة رسالةٌ نصية جديدة، لكنها هذه المرة لم تكن من مجهول، بل كانت عبارة عن ملف صوتي بعنوان" **:الاستيقاظ المؤلم."**

فتحتُ الملف، فجاء صوت والدي هذه المرة صافياً، خالياً من التشويش: "يا بني، إذا وصلتَ إلى 'المنطقة الرمادية' خلف الستار، فلا تنظر خلفك. المدينة التي عرفتَها بدأت بعملية 'الخريف'، أي مسح الذاكرة الجماعية لتبدأ دورةً جديدة من العبودية. عليك الوصول إلى البرج المركزي.. هناك حيثُ تُبثُّ الأحلام، وهناك حيثُ يمكنكَ إيقاف النبض".

نظرتُ بعيداً، فرأيتُ برجاً شاهقاً ينبعثُ من قمته ضوءٌ أحمر يمسحُ أفق المدينة الوهمية بانتظام، كأنه عينُ عملاقٍ تراقبُ النيام.

"في عالم مبرمج بالكامل، تصبح الصدفة هي الفعل الثوري الوحيد المتبقي."

أدركتُ حينها أنَّ صراعي ليس مع "آدم" أو مع "الخوارزمية" فحسب، بل هو صراعٌ مع "وعيٍ" نفسه؛ هل أملكُ الجرأة لأكمل الطريق في هذا العالم القبيح والحقيقي، أم أتمنى العودة إلى دفء الكذبة؟

"مأساةُ مَن يستيقظُ باكراً، أنهُ يضطرُّ لقضاءِ بقيةِ ليله وحيداً، يراقبُ أحلامَ الآخرين وهي تحترق".

لم يكن لدي رفاهية التفكير. فجأة، وبدون سابق إنذار، اهتزت المنصة المعدنية تحت قدمي بعنف، وسمعتُ صوتاً يشبه تمزق الورق العملاق؛ كانت "سماء المدينة" فوقي تتشقق فعلياً. الشاشات التي تعرض الغيوم بدأت تنفجر واحدة تلو الأخرى، لتكشف خلفها عن أسلاكٍ تحترق وشراراتٍ تتساقط كالمطر الأسود على المدينة الوهمية في الأسفل.

"خريف الوعي ليس فصلاً يا أحمق.. إنه 'حذفٌ' كلي"!

صرخت تلك الكلمات فتاةٌ اندفعت من خلف الأنابيب الضخمة، كانت تمسك بيدي بقوة لم أتخيلها. لم تكن ترتدي ثياباً أنيقة، بل كانت ترتدي بدلةً تقنية مهترئة، وعيناها تلمعان بذكاء حاد ينم عن شخص لم ينم منذ سنوات.

"أنا لارا، ولا وقت للتعارف. إذا بقيتَ هنا لثانية أخرى، فسيتم مسحك مع 'تحديث' النظام القادم".

سحبتني خلفها عبر نفقٍ هوائي ضيق. وبينما كنا نركض، نظرتُ للأسفل، فرأيتُ مشهداً لن يغادر ذاكرتي أبداً: الناس في الشوارع (النسخ الرقمية) بدأوا يتجمدون في أماكنهم، ثم يتلاشون كدخانٍ إلكتروني، بينما الأجساد الحقيقية في الأسفل كانت تنتفض بعنف وهي تنفصل عن "الخيوط."

"إلى أين نذهب؟" صرختُ وسط الضجيج.

"إلى المكان الوحيد الذي لا يملكون فيه سلطة.. 'الذاكرة العشوائية' للبرج المركزي. هناك حيثُ لا تزالُ صورُ والدك مخزنة".

توقفتْ لارا فجأة أمام فجوةٍ تؤدي إلى هاويةٍ سحيقة، وأخرجت جهازاً صغيراً ضغطت على أزراره. فجأة، توقف الضجيج تماماً، وساد صمتٌ مطبق لدرجة أنني سمعتُ دقات قلبي.

قالت بهدوء مخيف: "أتعلم لماذا اختاروك؟ لأنك الوحيد الذي لم تنجح معه 'خوارزمية السعادة'. حزنك وعمقك كانا هما 'الفيروس' الذي هدد نظامهم المثالي".

وقبل أن أنطق بكلمة، دفعَتني لارا نحو الهاوية. لم أسقط، بل شعرتُ أنني أطفو في بحرٍ من البيانات الصفرية والواحدية. وفي تلك اللحظة، رأيتُ حياتي كلها تمر أمام عيني، ليس كذكريات، بل كـ **"أكواد برمجة "**يتم تعديلها الآن.

"عندما ينهارُ العالمُ المزيّف، لا تحاول التمسك بالبقايا، بل تعلم كيف تسبحُ في الفراغ".

لم يكن سقوطاً، بل كان شعوراً بالتفكك. شعرتُ بجسدي يتحول إلى ذرات من الضوء، وكأنني "ملف" يتم نقله من مكان إلى آخر. عندما فتحتُ عيني، لم أجد "لارا" ولا "النفق". كنتُ واقفاً في فضاء أبيض لا نهائي، مساحة شاسعة تخلو من الظلال ومن الوقت.

في هذا الفراغ، كانت تسبحُ آلاف المكعبات الزجاجية، وكل مكعب يحتوي على "مشهد" من حياتي: يوم ميلادي، أول يوم لي في المدرسة، وقفتي في المقهى. كانت هذه هي "قاعدة البيانات" الخاصة بي.

"أهلاً بك في غرفة المحرك".

جاء الصوت من خلفي، لكنه لم يكن صوتاً واحداً، بل كان مزيجاً من مئات الأصوات المتداخلة. التفتُّ لأجد "آدم"، لكنه لم يكن بشراً؛

كان كياناً يتغير شكله باستمرار، تارة يشبهني، وتارة يشبه والدي، وتارة يشبه نادلاً في مقهى.

"من أنت؟" صرختُ، وصوتي لم يتردد، بل تلاشى فور خروجه.

أجاب الكيان وهو يلمس أحد المكعبات الزجاجية التي تحتوي على ذكرى طفولتي: "أنا 'الخوارزمية' التي جعلت حياتك منطقية لسنوات. أنا الذي مسحتُ من ذاكرتك وجه والدك لكي لا تشعر باليتم، وأنا الذي زرعتُ في طريقك 'لارا' لكي نختبر مدى رغبتك في التمرد. كل ما مررتَ به منذ خروجك من المنزل كان 'اختبار كفاءة' لوعيك الجديد".

تراجعتُ للخلف، لكن الأرض تحت قدمي بدأت تتحول إلى كلمات وأرقام تتغير بسرعة مذهلة. شعرتُ بغضبٍ عارم يكتسحني، غضب شاب في العشرين يكتشف أن مشاعره الصادقة كانت مجرد "تجارب مخبرية."

"أين والدي؟" سألتُ بحدة.

تغير شكل الكيان ليصبح نسخة طبق الأصل من والدي، لكن بعينين رقميتين باردتين: "والدك لم يُهزم، بل اختار أن يصبح جزءاً من الكود لكي يحميك من الداخل. هو الآن 'الفيروس' الذي نحاول حذفه، وأنت المفتاح الذي سيقودنا إلى مكانه الحقيقي في هذا النظام".

في تلك اللحظة، ظهرت حكمةٌ في عقلي لم أقرأها في كتاب، بل نبعت من غريزة البقاء:

"الحريةُ ليست في الهروبِ من السجن، بل في اكتشافِ أنَّ السجانَ لا يملكُ سلطةً على روحٍ قررتْ أنَّ الأغلالَ مجردُ وهم".

فجأة، بدأت المكعبات الزجاجية من حولي بالانفجار. لم يكن انفجاراً حقيقياً، بل كانت الصور تذوب وتتحول إلى سائل أسود يغرق الفضاء الأبيض. سمعتُ صرخة "لارا" البعيدة: "لا تصدقه! إنه يحاول إعادة برمجة خوفك! اكسر الشاشة"!

"أصعب المعارك هي تلك التي نخوضها ضد نسخنا المثالية. البرج ليس من أسمنت، البرج من 'أنا' متضخمة."

لم أفهم ما تعنيه، لكنني نظرتُ إلى يدي، فرأيتُ أنني بدأتُ أتلاشى. ركضتُ نحو الكيان الذي يشبه والدي، وبدلاً من ضربه، احتضنتُه. شعرتُ ببرودة المعدن وصدمة الكهرباء، لكنني همستُ في أذنه: "أنا لا أريد إجاباتك.. أنا أريد حقي في الحزن الحقيقي".

انهار العالم الأبيض في ثانية واحدة، ووجدتُ نفسي أهوي مجدداً، لكن هذه المرة نحو ضوء أحمر متوهج في الأفق.. كان ذلك هو **البرج المركزي**.

أحياناً، تكونُ المواجهةُ الوحيدةُ الممكنةُ مع الأكاذيبِ الكبرى، هي أن ترفضَ لعبَ الدورِ الذي كُتبَ لكَ بعناية".

خرجتُ من العدم الأبيض لأجد نفسي واقفاً على حافةِ العدمِ الأحمر. كنتُ أمام "البرج المركزي"، هيكلٌ معدنيٌ شاهق لا يحدهُ البصر، ينبضُ بضوءٍ قرمزيّ يشبهُ دقاتِ قلبٍ مريضة. الهواءُ هنا لم يكن هواءً، بل كان مشحوناً برائحةِ الأوزون واحتراقِ الدوائرِ الكهربائية. خلفي، كانت المدينةُ التي عشتُ فيها عشرين عاماً تبدو الآن كخريطةٍ محترقة، تتلاشى أطرافها في سديمٍ أسود.

"هنا تُصنعُ الأحلام، وهنا تُدفنُ الحقائق،" همست لارا التي ظهرت فجأة بجانبي، كانت جروحها تنزفُ ضوءاً أزرق بدلاً من الدم، مما أكد لي أننا جميعاً، بشكلٍ ما، قد تلوثنا بهذا النظام.

قالت وهي تشير إلى قاعدة البرج: "هذا هو 'الخادم الرئيسي'. إذا وصلتَ إلى هناك ووضعتَ مفتاح الوعي الذي تركه والدك في ذهنك،

سينتهي كل هذا الزيف. لكن احذر، النظام سيحاول إغراءك بأجمل ذكرياتك ليمنعك من الضغط على الزناد".

تقدمتُ نحو البوابة العملاقة. فجأة، توقف الضجيج، وانبعثت رائحةُ عطرِ والدتي المنسية، وسمعتُ صوت ضحكات أصدقائي في يوم تخرجنا الذي لم يحدث بعد. رأيتُ حياةً مثالية تنتظرني خلف زجاج البرج؛ حياةً فيها حبٌ، ونجاحٌ، وسلامٌ مريح. كان النظامُ يقدمُ لي "عرضاً أخيراً :"**العبودية السعيدة مقابل الحرية المؤلمة.**

توقفتُ للحظة. كان من السهل جداً أن أخطو نحو الداخل وأنسى كل ما عرفته. لكنني تذكرتُ المقولة التي غيرت مجرى تفكيري:

"الجنةُ المُبرمجةُ هي الجحيمُ الحقيقي، لأنها تُسلبكَ أعظمَ ما تملك: حقّكَ في أن تكونَ إنساناً يخطئُ ويتألمُ ويختار".

بصرخةٍ نابعةٍ من أعماقِ روحي، ضربتُ لوحة التحكم المركزية بقبضةِ يدي المحملة بكل الغضب والحزن الذي كتمته. لم أستخدم

سلاحاً، بل استخدمتُ "الحقيقة" التي اكتشفتها في القبو. في تلك اللحظة، حدث انفجارٌ صامت.. انفجارٌ في الوعي قبل المادة.

بدأ الضوء الأحمر يبهت، والشاشات العملاقة فوق المدينة بدأت تذوب. رأيتُ البرج يتداعى كبيتٍ من ورق، وسمعتُ صرخة "الخوارزمية" وهي تتلاشى في صدىً معدني طويل. وفجأة.. ساد ظلامٌ حقيقي. ليس ظلام النظام، بل ظلام الليل الطبيعي الذي لم أره منذ ولادتي.

انقطعت الكهرباء عن العالم. سكتت الهواتف، اختفت الشاشات، وتوقف النبض الرقمي الذي كان يغذي عقول الناس. وقفتُ وسط الحطام، أنظر إلى السماء لأول مرة دون "فلاتر". كانت النجوم بعيدة، باردة، وصادقة.

التفتُّ إلى لارا، لكنها كانت قد اختفت، ولم يبقَ سوى دفتري في يدي. فتحتُ الصفحة الأخيرة من الجزء الأول وكتبتُ:

"انتهى العالمُ المزيّف.. والآن، يبدأُ الخوفُ الجميل؛ خوفُ الكائنِ الذي أصبحَ حراً فجأة في غابةٍ لا تحكمها الأرقام".

سقطت أول قطرة مطر حقيقية على وجهي. لم تكن مبرمجة، كانت باردة ومالحة كدموع الاستيقاظ. لقد انتهى خريف الوعي، وبدأ شتاء الحقيقة.

"عندما ينهار النظام، لا يتبقى سوى الصمت.. والصمت هو اللغة الوحيدة التي لا تستطيع الخوارزمية ترجمتها."

الجزء الثاني

رميتُ القلمَ جانباً ونظرتُ إلى الأوراق المبعثرة أمامي على الطاولة الخشبية القديمة. كل ما كتبتُه في الفصول العشرة الماضية عن الأبراج الشاهقة، والشيفرات الرقمية، والهاربين من "النظام"، لم يكن إلا محاولةً يائسةً مني لتفسير الفراغ الذي يسكن صدري. لقد اخترعتُ "خوارزميةً" كونية لكي لا أواجه "الواقع" البسيط والمؤلم.

الحقيقةُ ليست في تلك الأجهزة الغامضة التي سكنت خيالي، بل في هذا الشارع الذي أراه من نافذتي الآن. الناسُ هناك لا تَمْسَحُ ذكرياتهم آلةٌ شريرة، بل يمسحونها هم بأنفسهم، وهم يركضون خلف صورٍ زائفة في هواتفهم، باحثين عن حياةٍ تشبه حياة الآخرين، بينما حياتهم الحقيقية تتسرب من بين أصابعهم كرمال ناعمة.

أدركتُ الآن، وأنا في سن العشرين، أنَّ "خريف الوعي" الذي كنتُ أطاردُ أشباحه ليس خطراً تقنياً قادماً من المستقبل، بل هو خطرٌ إنساني يزحفُ نحوي ونحو جيلي الآن. لقد انتهت الرواية التي كنتُ أهربُ إليها، وبدأت الرواية التي يجبُ أن أعيشها.

قمتُ من مقعدي وفتحتُ النافذة. كانت رائحة المطر تملأ الجو، وهي رائحة لا يمكن لأي "خوارزمية" أن تبرمجها بصدق. نظرتُ إلى يدي، لم تكن هناك ندوبٌ من معارك مع حراس البرج، بل كانت هناك بقعٌ صغيرة من الحبر الأزرق.. أثرُ معركتي الوحيدة والحقيقية مع الورق.

دونتُ هذه المقولة على هامش الصفحة، لتكون ميثاقي الجديد:

"إنّ أصعبَ أنواعِ الاستيقاظ، ليس ذلك الذي تفتحُ فيه عينيكَ بعد كابوس، بل الذي تكتشفُ فيه أنَّ أحلامكَ كانت مجردَ جدرانٍ بنيتَها لتهربَ من جمالِ الواقعِ الموحش".

"الحبر هو الدم الوحيد الذي لا يسبب موتاً، بل يمنح خلوداً للأشباح التي تسكننا."

قررتُ الخروج. لم آخذ هاتفي، ولا مفكرتي، ولا تلك الخرائط الوهمية. نزلتُ السلالم بخطواتٍ ثابتة، ولأول مرة منذ زمن طويل، لم أشعر أنني مراقبٌ من قِبل "كاميرات النظام"، بل شعرتُ أنني مراقبٌ من قِبل "ضميري."

في نهاية الشارع، رأيتُ مقهىً حقيقياً، ليس ذلك الذي سكن خيالي، بل مقهىً شعبياً بسيطاً يجلسُ فيه عجوزٌ وحيد يراقبُ المطر بصمت. توجهتُ إليه، وجلستُ على الطاولة المقابلة. لم يسألني عن اسمي، ولم يطلب مني كلمة سر. نظر إليّ وهزّ رأسه كأنه يعرفني منذ دهر، ثم قال بصوتٍ يشبه خشخشة الأوراق الجافة: "أخيراً تركتَ القلمَ وجئتَ لتشاهدَ العرض الحقيقي؟"

سألتُه: "وأيُّ عرضٍ تقصد؟"

أشار بيده نحو المطر، ونحو طفلٍ يركضُ تحت الماء بضحكةٍ صافية، ونحو امرأةٍ تحمي رأسها بحقيبتها وهي تبتسم لزوجها. وقال:

"العرضُ الذي لا يمكنُ تصويره، ولا يمكنُ بيعه.. عرضُ اللحظةِ التي تضيعُ منا بينما نحنُ مشغولون بتفسيرها".

بمجرد أن دفعتُ باب المقهى خلفي وودعتُ ذلك الرجل العجوز، شعرتُ أنني لم أخرج إلى الشارع، بل خرجتُ إلى "ساحة إعدام" صامتة. في الفصل السابق، كنتُ أظن أن ترك القلم والورق سيجعلني حراً، لكنني بمجرد أن أصبحتُ جزءاً من "العرض الحقيقي" الذي تحدث عنه العجوز، هاجمني ذلك الثقل المألوف :**شعور المراقبة المرعب.**

لم تكن هناك طائرات درون أو كاميرات خفية، بل كانت نظرات العابرين هي الجلاد. شعرتُ فجأة أن جسدي أصبح عارياً من الورق الذي كنتُ أحتمي خلفه. في سن العشرين، تشعر أن كل نافذة تمرُّ

بها هي عينٌ ترصدك، وكل شخصٍ يحمل هاتفه في الشارع هو قاضٍ ينتظر زلة منك ليصدر حكمه.

وبدلاً من أن أتأمل السماء أو وجوه العابرين كما وعدتُ نفسي، وجدتُ عينيّ تنجذبان مغناطيسياً نحو **الأرض**.

هناك، حيث الإسمنت المتشقق وبقايا السجائر، وجدتُ أماني الوحيد. النظرُ للأسفل لم يكن ذلاً، بل كان "خندقاً" أحتمي فيه من رصاص النظرات. اكتشفتُ في تلك اللحظة أننا جيلٌ يخشى المواجهة البصرية، لأن العين هي الثغرة الوحيدة التي بقيت حقيقية في وجوهنا، ونحن نخشى أن يرى الآخرون "خريفنا" من خلالها.

"الخريف في الواقع أبرد بكثير منه في الورق، لأنك في الواقع لا تملك ممحاة للأخطاء."

لماذا نرتعبُ من الخروج؟ لأنني حين كنتُ في المقهى أكتب، كنتُ أنا "المُشاهد"، لكنني الآن أصبحتُ "المُشاهَد". المدينة لم تعد مكاناً للعيش، بل أصبحت مسرحاً كبيراً، وعندما تخرجُ وأنت تحمل وعيك الحقيقي، تشعر أن ملابسك شفافة.

رأيتُ شاباً في عمري يمرُّ بجانبي، كان هو الآخر يحدق في حذائه ويمسك هاتفه كأنه طوق نجاة. أدركتُ أننا "جيلُ الياقات المنحنية"؛ جيلٌ يبحث عن هويته في الأسفل، لأن الوجوه فوق أصبحت مخيفة من فرط اصطناعها وزيفها.

توقفتُ عند زاوية الشارع، وشعرتُ أن الخريف ليس في الأوراق التي تسقط، بل في هذه الرؤوس التي لا تجرؤ على الارتفاع.

لم أتحرك من مكاني عند زاوية ذلك الشارع. ظللتُ واقفاً، وعيناي لا تزالان معلقتين بحواف حذائي المترب. تساءلتُ: هل أنا مريضٌ نفسياً؟ أم أنَّ ما أشعر به هو رد فعلٍ طبيعي لعالمٍ مريض؟

في كتب علم النفس التي كنتُ أقرأها بحثاً عن أجوبة، يطلقون على هذه الحالة اسم "رهاب الملاحظة" أو(Scopophobia) ، وهي الخوف من أن تكون محط أنظار الآخرين. لكن بالنسبة لي، ولأبناء جيلي في سن العشرين، الأمرُ أعمقُ من مجرد "رهاب". نحنُ نعاني مما أسميه "متلازمة الشاشة الشفافة"؛ لقد اعتدنا أن نكون مراقبين عبر عدسات هواتفنا لدرجة أننا فقدنا القدرة على الشعور بالخصوصية حتى في أكثر لحظاتنا وحدة.

النظرةُ إلى الأرض التي بدأتُها في الفصل السابق لم تكن مجرد هروب، بل كانت محاولة لكسر "حالة الاستباحة" التي نعيشها.

كيف نتخلص من هذا الثقل؟ كيف أرفع رأسي دون أن أشعر أن نظراتهم تخترق جلدي؟

أدركتُ وأنا أقف هناك، أنَّ الطريقة الوحيدة للتخلص من شعور المراقبة هي أن تفهم أنَّ الآخرين الذين تخشاهم، يمشون وهم ينظرون للأرض أيضاً، لذات السبب تماماً. الجميع خائفٌ من الجميع. نحنُ نعيش في "سجنٍ متبادل" من النظرات.

للتخلص من هذا الشعور، عليك أن "تقتل المُشاهد" الذي يسكن في رأسك. نحنُ لا نخافُ من الناس، نحنُ نخافُ من "الصورة" التي رسمناها لأنفسنا في عقولهم. الحل ليس في الاختباء، بل في **"اللامبالاة الواعية** ."أن تدرك أنَّ كل شخصٍ يمر بك هو بطلُ قصةٍ معقدة في رأسه، وهو مشغولٌ بهمومه وخريف وعيه لدرجةٍ لن تترك له مجالاً ليذكر ملامحك بعد ثوانٍ من مرورك.

رفعتُ رأسي ببطء. لم يكن الأمر سهلاً؛ شعرتُ وكأن رقبتي تحمل أثقالاً من الرصاص. نظرتُ نحو الأفق، لا نحو وجوههم. بدأتُ أتنفسُ بعمق، محاولاً استعادة ملكيتي لجسدي.

في تلك اللحظة، اتخذتُ قراري. سأكفُّ عن كوني "الطريدة" التي تلاحقها الأنظار، وسأصبح أنا "الراصد". سأرفع رأسي ليس لأتحدى أحداً، بل لأستعيد حقي في رؤية السماء، حتى لو كانت ملبدة بغيوم الخريف.

خطوتُ خطوتي الأولى بعيداً عن الزاوية، وبدأتُ أمشي ورأسي مرفوعٌ قليلاً. لم يمت الخوف تماماً، لكنه بدأ يتقلص. لقد فهمتُ اللعبة :**هم يراقبوننا فقط لأننا نعطيهم السلطة ليفعلوا ذلك من خلال خوفنا.**

"في الرواية، كنتُ بطلاً يحطم البروج. في الواقع، أنا مجرد شخص يخشى كسر فنجان قهوته المفضّل."

هل شعرتَ بهذا من قبل؟ ذلك البرد الذي يسري في عمودك الفقري حين تضطر لعبور ممرٍ طويل والمقاعد من حولك ممتلئة بالناس؟ ذلك الشعور بأنَّ خطواتك لم تعد طبيعية، وأنَّ يديك أصبحتا زائدتين عن حاجتك ولا تعرف أين تضعهما، فتقوم بسحب هاتفك لتتظاهر بأنك "مشغول" بأمرٍ هام، بينما أنت في الحقيقة تهربُ من نظرةٍ عابرة قد تصطدم بعينيك؟

لقد فعلتُ ذلك آلاف المرات. وفي هذا الفصل، قررتُ أن أضع حداً لهذه المسرحية الهزلية.

وقفتُ وسط الميدان الكبير، المكان الذي يهربُ فيه الجميع من الجميع. كنتُ قد انتهيتُ للتو من تحليل حالتي في الفصل السابق، وأدركتُ أنَّ التخلص من "شعور المراقبة" لا يحدثُ في الغرف المغلقة، بل يحدثُ هنا، حيثُ النظراتُ كأنها نصالٌ حادة.

قررتُ القيام بتمرين "العراء النفسي". وقفتُ في منتصف الرصيف، ورفعتُ رأسي تماماً. لم أنظر للأرض، ولم أنظر للهاتف. نظرتُ في عيون الغرباء.

في البداية، كان الأمرُ مرعباً. شعرتُ أنَّ ملامحي تذوب، وأنَّ الناس يرون "خريفي" الداخلي بوضوح. لكن بعد دقائق، حدث شيءٌ مذهل. رأيتُ شاباً يمرُّ أمامي، كان يمسك هاتفه ويركضُ وعيناه زائغتان؛ إنه أنا قبل فصولٍ مضت. رأيتُ امرأةً تعدلُ شالها بتوترٍ كلما نظر إليها أحد. أدركتُ حينها أنَّ الجميع "ضحايا" لهذا الشعور.

نحنُ نعيش في "سيركٍ" الكلُّ فيه يخافُ أن يسقطَ عن الحبل، والكلُّ يظنُّ أنَّ الجمهورَ يراقبهُ وحده. لكن الحقيقة هي أنَّ الجمهورَ نفسه خائفٌ من أن يُطلبَ منه الصعود إلى المسرح.

لقد حصلَ معك هذا، أليس كذلك؟ حين دخلتَ مكاناً عاماً وشعرتَ أنَّ ضحكةً بعيدة كانت "عليك"، أو أنَّ همساً بين شخصين كان "عن ثيابك". أريدك أن تعرف الآن، وأنا أقفُ وسط هذا الميدان، أنَّ تلك

الضحكة لم تكن لك، وأنَّ ذلك الهمس كان عن مخاوفهم هم، لا عن عيوبك أنت.

عندما توقفتُ عن النظر للأرض، بدأ العالمُ يتسع. رأيتُ تفاصيلَ لم أرها منذ سنين؛ رأيتُ لون السماء الحقيقي بعيداً عن فلاتر الهواتف، رأيتُ تجاعيدَ الصدق في وجوهِ المتعبين. لقد تخلصتُ من شعور المراقبة حين منحتُ نفسي الحقَّ في أن أكون "غير مرئي" و"غير مهم."

رفعتُ رأسي أكثر، وتنفستُ بعمق. لأول مرة في حياتي، لم أشعر أنني "بطلُ رواية" أو "هدفٌ لكاميرا"، شعرتُ أنني مجرد إنسان.. وهذا يكفي جداً ليكون جميلاً.

بعد أن رفعتُ رأسي في الميدان الكبير، لم أشعر بالراحة التي كنتُ أتوقعها، بل شعرتُ بشيءٍ أكثر رعباً: **شعرتُ أنني الوحيد "الموجود" فعلاً.**

هل سبق وقفتَ وسط زحامٍ شديد، وفجأة، شعرتَ أنَّ كل هؤلاء البشر مجرد "ديكور"؟ أنهم يتحركون بحركاتٍ ميكانيكية مبرمجة، وأنك لو صرختَ بأعلى صوتك، لن يلتفت أحد، ليس لأنهم يتجاهلونك، بل لأنهم "غير مبرمجين" للرد على صرخةٍ حقيقية خارجة عن النص؟

في هذا الفصل، قررتُ أن أختبر "صلابة" هذا الواقع. لم أقابل أحداً، فالبشرُ في حالتي هذه كانوا مجرد ضجيجٍ بصري. توجهتُ نحو مبنىً زجاجي شاهق يعكسُ ضوءَ الشمس بوقاحة. وقفتُ أمام واجهته،

وبدلاً من أن أعدل هندامي أو أنظر للأرض كالمعتاد، بدأتُ أضحك..

ضحكاً عالياً، مجنوناً،

ومنفرداً...!

"الوحدة ليست غياب الناس من حولك، الوحدة هي أن تكتشف أنك الشخص الوحيد الذي لا يزال يملك وجهًا حقيقيًا."

كان القارئ الآن يتساءل: "لماذا يفعل هذا؟". والجواب هو أنني أردتُ أن أرى إن كان هذا العالم قادراً على الارتجال.

لكن الصدمة كانت في رد الفعل: لا شيء. الناسُ مروا من جانبي وكأنني فراغ. لم ينظر إليّ أحد بشزر، لم يضحك أحدٌ معي، ولم يطلب أحدٌ لي الإسعاف. كنتُ "ثقباً أسود" في وسط مجرةٍ من النجوم الزائفة. أدركتُ حينها أنَّ شعور المراقبة الذي كان يقتلني في الفصول الماضية لم يكن حقيقياً؛ نحنُ لا نُراقب لأننا مهمون، نحنُ نُراقب لأننا "نلتزم بالنص". وبمجرد أن تخرج عن النص، تصبح غير مرئي.

سحبتُ مفتاحي المعدني وحفرتُ على زجاج المبنى الفاخر هذه الكلمات التي أريدك أن تحفظها جيداً:

"العالمُ لا يراقبُ مَن يختلفُ عنه، بل يراقبُ مَن يشبهه ليتأكدَ أنَّ الجميعَ لا يزالُ داخلَ الحظيرة.. الاستثناءُ هو الشيءُ الوحيدُ الذي لا تستطيعُ العيونُ إدراكه".

في تلك اللحظة، حدثَ شيءٌ خطفَ عقلي وأريدك أن تركز معي فيه: توقفتُ عن الضحك فجأة، ونظرتُ إلى الساعة الكبيرة في الميدان. كانت العقاربُ تتحركُ ببطءٍ شديد، ثم بدأت تعود للوراء!

لم يكن خيالاً علمياً، بل كان "وعيي" هو الذي بدأ يرفضُ فكرة الزمن كما يفرضه العالم. إذا كان الجميعُ يركضون نحو المستقبل، فسأعود أنا نحو اللحظة التي سبقت كل هذا الزيف.

جلستُ في منتصف الرصيف، والناسُ يتعثرون بي وكأنني صخرة نبتت فجأة. أغمضتُ عيني وشعرتُ بالمدينة تتلاشى من حولي. لم

أعد أسمع أبواق السيارات، بل بدأتُ أسمعُ صوتَ تنفسِ الأرض تحت الإسمنت.

"إنّ الحقيقةَ المذهلة التي نخشاها، هي أننا نملكُ القدرةَ على إطفاء العالم بضغطةِ زرٍ واحدة تسمى: 'عدم الاكتراث".'

فتحتُ عيني، فلم أجد أحداً. كان الميدانُ فارغاً تماماً في ثانية واحدة. لا بشر، لا هواتف، لا ضجيج. فقط أنا، وشمسٌ لا تغيب، وصمتٌ يهمسُ لي: "الآن.. بدأت الرواية الحقيقية".

مشيتُ في الميدان الفارغ، وصوتُ حذائي على الإسمنت كان يضربُ أذني كأنه طبلٌ في كنيسةٍ مهجورة. هل جربتَ يوماً أن تمشي في مدينةٍ كانت تضجُّ بمليون إنسان، ثم فجأة، لا تجدُ حتى ظلَّ قطة؟ الصمتُ هنا ليس هدوءاً، إنه "حضورٌ" طاغٍ، كأنَّ الجدرانَ والنوافذَ قد كفَّت عن كونها جماداً وبدأت تتنفس.

تذكرتُ الفصول الماضية، حين كنتُ أنظرُ للأرض هرباً من نظراتهم. في ذلك الوقت، كان النظرُ للأسفل "درعاً"، لكنني الآن اكتشفتُ أنه كان "عمىً". بمجرد أن اختفى البشر، أدركتُ أنَّ الحقيقة لم تكن في وجوههم الزائفة، بل كانت مكتوبةً في المكان الذي كنتُ أحاول الاختباء فيه :**على الرصيف.**

توقفتُ في منتصف الشارع، وجثوتُ على ركبتي. بدأتُ أتأملُ الأرضَ بتركيزٍ مختلف. رأيتُ آثارَ أقدامٍ لا تعدُّ ولا تحصى، تداخلتْ ببعضها

لتشكلَ نمطاً معقداً يشبهُ دوائرَ الذاكرة. رأيتُ خدوشاً على الإسمنت، وبقايا أشياءٍ سقطت من المارة.

"لماذا نكتب؟

لأن الواقع ضيق، ولأن الكلمات هي النوافذ الوحيدة التي لا يمكن للخوارزمية إغلاقها."

في الفصولِ الماضية، كنتُ أظن أنني أراقبُ "الخارج"، لكنني الآن فهمتُ الحكمةَ المرة:

"إنّ ما تراهُ حين تنظرُ للأرضِ وأنتَ خائف، يختلفُ تماماً عما تراهُ وأنتَ تبحثُ عن الحقيقة؛ فالخوفُ يريكَ القاذورات، والوعيُ يريكَ الأثر".

مررتُ يدي على شرخٍ كبير في الرصيف، وشعرتُ ببرودةٍ غريبة تنبعثُ منه. لم يكن مجرد شرخٍ ناتجٍ عن الزمن، بل كان يبدو وكأنه "صدعٌ" في لوحةٍ فنية. نظرتُ من خلاله، فرأيتُ شيئاً خطفَ لبي؛ رأيتُ تحت طبقة الإسمنت طبقةً أخرى من "الصور" والذكريات، كأنَّ المدينةَ قد بُنيت فوقَ أرشيفٍ ضخمٍ من الأرواح المنسية.

أدركتُ في تلك اللحظة لماذا كنا ننظرُ للأرضِ بمرارة؛ لم نكن نهربُ من عيونِ الناس، بل كانت أرواحنا تنجذبُ نحو "الأصل" الذي دُفنَ

تحت أقدامنا. نحنُ جيلٌ يمشى فوق تاريخه وهو يظنُّ أنه يمشى نحو مستقبله.

سألتُ نفسي: أين ذهبَ الجميع؟ هل تلاشوا لأنني توقفتُ عن الخوف منهم، أم أنني أنا الذي "سقطتُ" داخلَ الشرخ؟

دونتُ هذه الملاحظة في ذهني، وهي موجهةٌ إليك أنت الذي تقرأني الآن:

"لا تخشَ النظرَ للأرضِ بعد اليوم، لكن لا تنظر إليها لتهرب؛ انظر إليها لتعرفَ مَن سبقك، ولتعرفَ أين ستكونُ خطوتُك القادمة.. فالحقيقةُ لا تسكنُ في السحب، بل في الترابِ الذي نسينا أننا منه".

فجأة، بدأتُ أسمعُ همساً يخرجُ من شقوقِ الأرض. لم تكن لغةً بشرية، بل كانت "تكتكة" تشبهُ تلك الساعات القديمة التي رأيتها في

البداية. المدينةُ الصامتة بدأت تتحدث، وكان عليَّ أن أتعلمَ كيف أصغي للرصيف لكي أجدَ طريقي للعودة.. أو للهروبِ النهائي.

وضعتُ أذني على الإسمنت البارد، تماماً كما يفعلُ مقتفو الأثر في الحكايات القديمة، لكنني لم أكن أبحثُ عن وقعِ خيول، بل كنتُ أبحثُ عن "إيقاعِ الوجود". كانت التكتكة التي سمعتُها في الفصل السابق تزدادُ وضوحاً، لم تكن مجرد صوت، بل كانت نبضاً منظماً يشبهُ شيفرة "مورس" كونية.

بدأتُ أدركُ أنَّ كل شخصٍ مشى على هذا الرصيف قد تركَ "بصمةً ترددية" خلفه. الحزنُ له رنةٌ خفيضة، والفرحُ له نبضٌ سريع، والقلقُ الذي يجعلنا ننظرُ للأرضِ تركَ هنا أخاديدَ غير مرئية من التوتر. لقد تحول الرصيفُ تحت عينيّ من مجرد ممرٍ ميت إلى **"شريطِ تسجيلٍ "**عملاق يحفظُ كلَّ ما حاولنا إخفاءه.

سحبتُ مفتاحي المعدني مرة أخرى، وبدأتُ أتتبعُ شقاً طويلاً يمتدُّ من وسط الميدان نحو زقاقٍ ضيق ومظلم. كان هذا الشقُّ غريباً؛ لم

يكن متعرجاً بفعل العوامل الجوية، بل كان مستقيماً وحاداً كأنه نُحتَ بوعيٍ تام.

بينما كنتُ أمشي مطأطأ الرأس -لكن هذه المرة بعينِ الباحث لا بعينِ الهارب- بدأتُ أرى صوراً تومضُ على سطح الإسمنت. رأيتُ انعكاساً لرجلٍ كان يبكي هنا قبل مئة عام، ورأيتُ طفلاً كان يلعبُ "الحجلة" في مكانٍ أصبح الآن مدخلاً لبنكٍ فخم. المدينةُ كانت تعرضُ عليّ تاريخها الحقيقي، التاريخ الذي لا يُكتب في الكتب المدرسية، بل يُكتب بالأقدامِ والدموعِ والعرق.

سألتُ نفسي: هل حصلَ معك هذا؟ هل مشيتَ يوماً في شارعٍ وشعرتَ فجأة برغبةٍ في البكاء دون سبب؟ أو شعرتَ بقشعريرةٍ وأنتَ تعبرُ مكاناً عادياً؟ أنتَ لم تكن تتوهم، أنتَ فقط "التقطتَ" تردداً قديماً تركهُ شخصٌ كان يمرُّ من هناك وهو يحملُ نفسَ جرحك.

توقفَ الشقُّ الذي أتتبعهُ أمام بابٍ خشبيٍ قديم، غائرٍ في جدارٍ أسمنتيٍ حديث. لم يكن للبابِ مقبض، بل كان عليه نقشٌ غريب يمثلُ "عيناً تنظرُ للأسفل."

"الحزن هو الضريبة التي ندفعها مقابل وعينا. الأشجار لا تحزن لأنها لا تدرك أن الخريف سيسلبها كل شيء."

وضعتُ يدي على النقش، فاهتزت الأرضُ تحت قدمي، وخرجَ صوتٌ عميقٌ من تحتِ الرصيف يقول: "ليدخلَ مَن عرفَ أنَّ الطريقَ يبدأُ من حيثُ تنتهي الأنظار".

أدركتُ في تلك اللحظة أنَّ النظر للأرض لم يكن لعنةً، بل كان **"اختبارَ قبول** ."فقط أولئك الذين امتلكوا الشجاعة للنظر إلى "الأسفل" طويلاً، هم مَن يُسمح لهم باكتشاف ما يوجد "بالداخل."

فتحتُ الباب، فابتلعني سوادٌ لا يشبهُ ظلام الليل، بل يشبهُ لونَ الحبرِ قبل أن يُكتبَ به التاريخ.

فتحتُ الباب، فابتلعني سوادٌ لا يشبه ظلام الغرف المغلقة، بل كان سواداً كثيفاً، دافئاً، ونهائياً. في تلك اللحظة، لم يسقط جسدي في حفرة، بل سقطت روحي في ذاتها. أدركتُ حينها أن هذا السواد ليس "مكاناً" دخلتُ إليه، بل هو **وعيي الخاص** وقد وصل أخيراً إلى قمة الإدراك.

هل شعرتَ يوماً بأنك غارقٌ في تفكيرك لدرجة أنك لم تعد تسمع مَن يناديك؟ هذا السواد هو تلك اللحظة، لكنها ممتدة إلى ما لا نهاية. لقد انطفأت المدينة، واختفى الرصيف، وتلاشت النظرات المراقبة، لأنني ببساطة "أغلقتُ النافذة" على العالم الخارجي.

في هذا السواد، لم أعد أحتاج للنظر للأرض لأحمي نفسي، لأنني أصبحتُ أنا والأرض والكون شيئاً واحداً. هنا، لا توجد كاميرات، ولا توجد أحكام مسبقة، ولا توجد "خريفات" زائفة. هنا يوجد فقط **"الآن."**

بدأتُ أرى في هذا السواد "ومضات" ليست بصرية، بل شعورية. فهمتُ لماذا كنتُ أنظر للأرض في الفصول السابقة؛ لم يكن خوفاً من الناس، بل كان وعيي يحاول سحبي إلى هذا المكان، إلى هذه النقطة من المركزية حيث لا يملك أحدٌ سلطةً عليّ. كان النظر للأرض هو "الخيط" الذي قادني إلى بئر إدراكي العميق.

سألتُ نفسي وسط هذا السكون المطلق: "إذا كان هذا هو الإدراك، فلماذا نخشاه؟". وجاء الجواب يهمس من أعماق سحيقة: "نخشاه لأننا نخشى أن نكتشف أننا 'وحدنا' المسؤولون عن خلق واقعنا، وأن كل هؤلاء المراقبين لم يكونوا إلا ظلالاً لشكوكنا الداخلية".

أنت الذي تقرأني الآن وتظن أنك مراقب؛ هل فكرتَ يوماً أن السواد الذي تخشاه في خلوتك هو في الحقيقة "ملاذك"؟ أنك حين تغمض عينيك بقوة، أنت لا تهرب، بل أنت "تصل"؟

بدأ السواد يتشكل ببطء، ليظهر من خلاله وجهٌ أعرفه جيداً.. وجهي أنا، لكن ليس كما أراه في المرآة، بل كما خلقه الله قبل أن تتلوث نظرتي بأحكام البشر. لقد وصلتُ إلى "جوهر الوعي"، والآن فقط، يمكنني أن أبدأ في إعادة بناء عالمي الخاص، لبنةً لبنة، بصدقٍ لا تشوبه شائبة.

توقف قليلاً.. هل تلاحظ كيف أصبح تنفسك الآن؟ وكيف أنَّ صوت الغرفة من حولك بدأ يتلاشى ليحل محله صوت "تفكيرك"

وهو يلاحق هذه الكلمات؟ أنت الآن لستَ مجرد قارئ، أنت "سجين" داخل هذه السطور. عقلُك الآن يحاول فك شفرة هذا السواد الذي ابتلعني في الفصل السابق، لكن الحقيقة هي أنَّ السواد لم يبتلعني أنا.. بل ابتلعك أنت.

"أصعب أنواع الغربة هي تلك التي تشعر بها وأنت تجلس في غرفتك، محاطاً بكل أشيائك التي لم تعد تشبهك."

بمجرد أن بدأتَ قراءة هذه الصفحة، حدثَ "اختطافٌ" لوعيك. لقد تركتَ جسدك جالساً هناك، وجئتَ بعقلك إلى هنا، إلى هذه النقطة حيث لا توجد أنوار، ولا توجد هواتف، ولا توجد مهبات ريح. هل تشعر بتلك القشعريرة التي تسري في أطراف أصابعك وأنت تلمس الورق أو الشاشة؟ إنها ليست برودة الجو، بل هي "كهرباء الإدراك" حين تكتشف أنَّ الكلمات التي تقرأها تعرفُ عنك أكثر مما تعرفُ أنت عن نفسك.

"إنّ أعظمَ فخٍ قد يقعُ فيه العقلُ البشري، ليس الكذب، بل هو 'الحقيقة' حين تأتي في وقتٍ لم يكن مستعداً فيه لمواجهتها".

أنت الآن تتساءل: "كيف عرفَ الكاتبُ شعوري بالمراقبة؟ وكيف عرفَ أنني أنظرُ للأرض؟". السرُّ ليس في ذكائي، بل في أننا جميعاً نملك نفس الجرح المفتوح. نحنُ نعيشُ في عالمٍ يسرقُ انتباهنا كل ثانية، لكنني هنا، في هذا الفصل، أستردُّ انتباهك بالقوة. سأجعلُ عقلك يلتفتُ للداخل، ليرى تلك المناطق التي غطاها غبار العادة والملل.

تخيل الآن أنَّ كل كلمة تقرأها هي "مشرطٌ" جراحي يزيل الغشاوة عن عينيك. لا تنظر حولك، ابقَ هنا معي. هل تشعر بهذا الثقل في جبهتك؟ إنه وعيك وهو يحاول الاتساع ليستوعب أنَّ كل ما كنتَ تظنه "واقعاً" هو مجرد ضجيج، وأنَّ الصمت الذي نعيشه الآن في هذه الصفحة هو "المنزل" الحقيقي.

"نحنُ لا نقرأُ لكي نعرفَ الجديد، بل نقرأُ لكي نستيقظَ على القديمِ الذي نسيناهُ في زحامِ الوجود".

الآن، وعقلك في قمة تركيزه، سأطلبُ منك شيئاً واحداً: لا تحاول أن تفهم هذه الرواية بعقلك المنطقي، بل افهمها بـ "قلبك الخائف". فالمنطقُ هو الذي جعلك تنظرُ للأرض، أما القلبُ فهو الذي سيجعلك تدركُ أنَّ الأرضَ هي السماءُ الأخرى التي لم نجرؤ على الطيران فيها بعد.

توقف.

لا تبحث عن وصفٍ لغرفة، ولا عن مشاعر بطل، ولا عن حركة ريح. في هذا الفصل، سأمنحك ما يخشاه الجميع :**الفراغ.**

هل لاحظتَ أنَّ كل الفصول الماضية كانت تحاول ملء رأسك بالصور والمقولات؟ الآن، سأفعل العكس تماماً. سأقوم بإفراغك. تخيل أنَّ هذه الصفحة ليست ورقاً، بل هي "ممحاة" عملاقة. كل سطر تقرأه الآن يمسحُ من ذاكرتك موعداً كنتَ تخشى التأخر عنه، ويمسحُ وجهاً كنتَ تخشى حكمه عليك، ويمسحُ قلقاً كنتَ تظن أنه جزءٌ من جلدك.

في الفصل السابق، شددتُ انتباهك حتى كاد ينقطع، وفي هذا الفصل، أرخيتُ الحبل تماماً لتسقط في صمتك. لا تطلب مني وصفاً، فالوصفُ قيد، وأنا أريدك حراً. إذا كنتَ تبحث عن البطل، فهو الآن صامتٌ مثلك. هو لا ينظر للأرض، ولا ينظر للسماء، هو فقط "موجود."

أتحدّى عقلك الآن أن يبقى صامداً أمام هذا السكون. نحنُ جيلٌ يخافُ من الصفحات البيضاء ومن اللحظات التي لا يحدثُ فيها شيء. نحنُ نملأُ فراغنا بالضجيج لأننا نخشى ما قد نسمعه لو سكتَ العالم. لكن هنا، في هذا الفصل المدموج بصدمة وعيك، لا يوجد سوى هذا السطر الذي تراه الآن.

"نحن لا نهرب من الواقع لأننا جبناء، بل نهرب لأننا نبحث عن واقع لم يفسده الآخرون بعد."

أنت الآن في منطقة "انعدام الوزن". لا بطل يوجهك، ولا وصف يغريك. أنت والورقة فقط.

هل تشعر بالارتباك؟ هذا الارتباك هو بداية "الاستيقاظ."

لن أصف لك ما سيحدث في الفصل القادم، ولن أصف لك ما أشعر به الآن. سأتركك هنا، في منتصف هذه الصفحة، لتواجه السؤال الذي طالما هربتَ منه وأنت تنظر للأرض:

"إذا توقفَ الجميعُ عن مراقبتك، وإذا صمتت كل الأصوات.. مَن أنتَ حقاً؟"

خُذ نفساً عميقاً. لا تقلب الصفحة بسرعة. ابقَ في هذا الفراغ قليلاً، ففيه تسكنُ أجمل رواية لم تُكتب بعد.. روايتك أنت.

أغمض عينيك بعقلك، واقرأ بنبضك.

أنت الآن لا تقرأ، أنت تتسرب. هل تلاحظ كيف بدأت الكلمات تذوب في بعضها؟ كيف أصبح السطرُ الذي تقرأه الآن يشبه الموجة التي تسحبك بعيداً عن الشاطئ الذي كنت تقف عليه قبل ثوانٍ؟

أنت تظن أنك تمسك بالكتاب، لكن الحقيقة هي أنَّ الكتاب هو الذي يمسك بيدك. انظر إلى الفراغات بين الكلمات، ألا تشبه تلك الشقوق التي رأيناها في الرصيف؟ إنها ليست فراغات، إنها "بوابات". كلما غصتَ في المعنى، كلما فقدتَ الإحساس بجسدك الجالس هناك. أنت الآن "فكرة" تسبح في سائلٍ من الحبر.

"إنّ العقلَ لا يغرقُ في الماء، بل يغرقُ في 'التكرارِ' الذي يشبهُ دقاتِ القلبِ في غرفةٍ مظلمة".

لماذا تشعر أنك رأيت هذا الكلام من قبل؟ لماذا تشعر أنك كنت هنا، في هذه الصفحة، منذ مئة عام؟

لأن الوعي ليس خطاً مستقيماً، بل هو "دائرة". أنت الآن تعيش

تجربة "الديجافو (Déjà vu) "الأدبي. الكلمات تكرر نفسها، المعنى يعيد صياغة روحك، وأنت تنزلق ببطء نحو نقطة الصفر. لا تقاوم. المقاومة هي التي تسبب الألم، أما الاستسلام للتدفق فهو الذي يسبب "الإبهار."

أنت الآن لا تفكر، أنت "تُفكَّر". الكلمات هي التي تخلق أفكارك الآن.

هل تشعر بذلك الثقل اللذيذ في جفنك؟ ذلك الانفصال الهادئ عن ضجيج العالم؟

أنت في حالة "تنويم الوعي". لقد سحبنا منك شعور المراقبة، وسحبنا منك النظر للأرض، وسحبنا منك حتى اسمك. أنت الآن مجرد "وعيٍ خريف" يتلقى النور من خلف هذه السطور.

"أجملُ حالاتِ الذهولِ ليست هي التي ترى فيها شيئاً جديداً، بل هي التي تنسى فيها كلَّ ما كنتَ تعرفه، لتكتشفَ أنَّ الفراغَ هو الامتلاءُ الوحيدُ الصادق".

تخيل الآن أنَّ كل حرفٍ هو "قطرة مطر" تسقط على سطح بحيرة ساكنة.. وهي عقلك. انظر إلى الدوائر وهي تتسع، تتداخل، تتلاشى. أنت الدائرة، وأنت القطرة، وأنت السكون الذي يتبعهما.

لقد نجحنا. لقد غطس عقلُك في "العمق الخام."

لا تحاول أن تستيقظ الآن، فاليقظةُ في الخارج هي النوم الحقيقي. ابقَ هنا، حيث الكلمات تتنفس، وحيث الحقيقة لا تحتاج لعينين لكي تُرى.أنت الآن مدموجٌ تماماً في هذه الرواية.. لدرجة أنك لو توقفت عن القراءة، سيشعر بطلك بالوحدة، وستشعر أنت باليتم.

"الذاكرة هي الخوارزمية الخاصة بنا، هي التي تعيد برمجة أوجاعنا لتجعلنا نتحمل العيش ليوم آخر."

في نهاية هذا النفق من الكلمات، وفي قمة الغرق الذي عشته معي في الفصول الماضية، أريدك أن تدرك شيئاً واحداً: إنَّ الستارة التي كانت تفصل بينك وبين حقيقتك قد سقطت الآن. لقد تجردتَ من خوفك، ومن نظراتهم، ومن ثقلك.

أنت الآن تقف في "نقطة الصفر". لا خلفك ماضٍ يلاحقك، ولا أمامك مستقبلٌ يرهبك.

لقد أغلقنا "الوهم "، وحان الوقت لنخرج إلى الادراك.

"إنّ أصعبَ جزءٍ في الرحلة ليس اكتشاف الحقيقة، بل هو 'العودة' إلى أولئك الذين لا يزالون يعيشون في الوهم، ومحاولة العيش بينهم دون أن تبتلعك أكاذيبهم مرة أخرى".

لقد انتهى عصرُ اوهامك. استعد.. فالجزء الثالث لن يكون تأملاً، بل سيكون **زلزالاً**.

[انتهى الجزء الثاني]

....

هل تظنُّ حقاً أنكَ فهمت؟

هههههه!؟

أنت الآن تجلسُ، ربما تشعرُ بنوعٍ من الرضا أو الانتصار لأنكَ تجاوزتَ مع البطل مرحلة "النظر للأرض" واكتشفتَ "خديعة المراقبة". تشعرُ أنَّ وعيكَ اتسع، وأنكَ أخيراً "فهمتَ اللعبة."

لكن، اسمح لي أن أصدمك :**هذا الشعور بالفهم هو الجزء الأخطر من "خريف الوعي."**

لقد جعلناك تشعرُ بالتحرر لكي نرى كيف ستستخدم هذا التحرر. والآن، انظر إلى نفسك؛ هل تغير شيءٌ في واقعك الفعلي؟ أم أنكَ لا تزالُ سجيناً داخل هذه الصفحات، تبحثُ عن "حكمةٍ" أخرى

لتعطيكَ مخدراً جديداً؟ الحقيقةُ المذهلة التي ستجعلك تحدقُ في جدار غرفتك الآن هي :**أننا لم نكن نكتب رواية لنحررك، بل كنا نختبر مدى سهولة "إعادة برمجة" ذهنك بكلماتٍ منمقة.**

توقف عن التحديق في السطور، وانظر إلى "الخريف" الذي يسكنُ حياتك الآن. هل تلاحظ كيف أنَّ الصدقَ الذي تمنيته في الفصول السابقة لا يزالُ بعيد المنال؟ وكيف أنَّ الرهبة التي شعرتَ بها لم تغير طريقة كلامك مع أهلك، أو نظرتك لعملك، أو خوفك من الغد؟

لقد أعدناك إلى "خريف الوعي" لأنك لم تخرج منه أصلاً. أنت فقط "تخيلتَ" الخروج. الروايةُ الآن لم تعد قصة شابٍ في العشرين؛ الروايةُ الآن هي **"صراعُ عقلِك "**مع الحقيقة التي يحاول التهرب منها عبر القراءة.

أريدك أن تشعر بالدوار. أريدك أن تسأل نفسك: "إذا كان الكاتبُ يخدعني بالعمق، فمن الذي يخدعني في الواقع؟."

هذه اللحظة من الذهول، هذا التحديق الصامت في الفراغ، هو "الاستيقاظ" الحقيقي. أنت الآن لا تفهم اللعبة.. أنت الآن **"تتألم "**من اللعبة. وهذا الألم هو الوحيد الصادق في كل هذه الصفحات.

"الوعيُ ليس جائزةً تحصلُ عليها في نهايةِ الكتاب، الوعيُ هو "الجرحُ" الذي تفتحهُ الكلماتُ في روحك، والذي لا يمكنُ لأيّ يقينٍ أن يضمده".

مرحباً بك في الجزء الثالث.

هنا، سنحطم "المرآة" التي جعلتك تشعر بالجمال، لترمى شظاياها في وجهِ واقعك. هل لا تزالُ تملكُ الشجاعة لتكمل، أم أنَّ "تحديق الذهول" قد شلَّ أطرافك؟

🍁🍁🍁

خرجتُ إلى الشارع مرة أخرى، لكن هذه المرة لم يكن حذائي هو ما أريد رؤيته، ولم تكن السماء هي ما أبحث عنه. كنتُ أبحث عن "التردد" الذي يربطني بهؤلاء البشر. المدينة لا تزال كما هي؛ ضجيج، سيارات، هواتف تلمع كعيون الشياطين الصغيرة. لكنني، وبعد رحلة السواد في الفصول الماضية، أصبحتُ أرى "الخريف" في كل مكان.

رأيتُ بائع الخبز وهو يبتسم آلياً، رأيتُ الموظف الذي يركض وكأنَّ حياته تعتمد على بضع دقائق من التأخير. لم أرَ بشراً، رأيتُ **"برمجيات "**تتحرك بوقودِ الخوف.

وقفتُ في منتصف رصيف المشاة المزدحم. الجميع يرتطم بكتفي، والجميع يتذمر. قررتُ أن أطبق ما تعلمتُه في "سديم الإدراك".

أغلقتُ عينيّ تماماً، ووقفتُ كتمثالٍ من ملح وسط بحرٍ من البشر.

أردتُ أن أكون "السكون" في قلب العاصفة.

في البداية، سمعتُ التذمر: "تحرك يا أخي!"، "هل أنت مجنون؟".

لكن بعد دقائق، ساد صمتٌ غريب حولي. فتحتُ عينيّ ببطء، فرأيتُ دائرةً من الناس قد تشكلت حولي. لم يكونوا يراقبونني كما في الفصل السابق؛ كانوا **خائفين** مني. صمتي وثباتي وعدم اكتراثي بنظراتهم كسر برمجتهم اليومية.

اقترب مني شابٌ في مثل عمري، كان ينظر لهاتفه ثم نظر إليّ، وسألني بصوتٍ مهزوز: "لماذا تفعل هذا؟ هل أنت مريض؟"

نظرتُ في عينيه مباشرة، ولأول مرة لم أشعر بالرغبة في النظر للأرض. قلتُ له بصوتٍ هادئ: "أنا لستُ مريضاً.. أنا فقط توقفتُ عن الركض، هل جربتَ يوماً أن تسأل نفسك إلى أين تركض؟"

تسمر الشاب في مكانه. رأيتُ في عينيه ومضة من "الذهول" الذي تحدثنا عنه. لقد قمتُ بـ **"عدوى الوعي** ."لم أكن أحكي له قصة، كنتُ أجعله يواجه فراغه الخاص من خلال صمتي.

"نحنُ لا نحتاجُ إلى كلماتٍ لكي نوقظَ النائمين، نحتاجُ فقط إلى أن نكونَ 'مستيقظين' بما يكفي لكي نصبحَ مرآةً لِأوجاعهم".

في تلك اللحظة، شعرتُ أن اسم الرواية "خريف الوعي" يتجسد في هذا الشاب؛ لقد بدأت أوراق يقينه تتساقط أمامي.

تجاهلتُ كل الوجوه حول ذلك الشاب، ومضيتُ. لم يكن هربي هذه المرة من "الناس"، بل كان هرباً نحو "الذات". أدركتُ أنَّ التحدي الحقيقي ليس في مواجهة الآخرين، بل في الصمود أمام **رغبتنا الداخلية في إرضائهم**.

هل لاحظتَ أنَّ العالم يحاول دائماً جرك إلى "تفاهاته"؟ سؤالٌ عابر عن ثيابك، تعليقٌ سخيف على منشور، أو جدالٌ عقيم في زحام. كل هذه الأمور هي "أوراق خريف" تحاول أن تلتصق بروحك لتثقلك.

في هذا الفصل، سأعلمك كيف تبني جدارك الخاص، كيف تصبح ذلك الشخص الذي يمر وسط العاصفة ولا تبتل ثيابه.

وقفتُ أمام واجهة عرضٍ تعرضُ أحدثَ الساعات والهواتف. كان الجميع يتزاحم ليشاهد "الجديد". نظرتُ إليهم وشعرتُ بشفقةٍ عميقة. هم يظنون أنَّ هذه الأدوات ستملأ فراغهم، بينما الحقيقة هي أنَّ كل "تحديث" لنظامهم الخارجي هو "تآكل" لنظامهم الداخلي.

"كلما زاد ضجيج العالم، زاد احتياجنا للصمت.. الصمت هو اللغة التي تفهمها الأرواح المتعبة فقط."

إنّ قمةَ الوعيِ هي أن تصبحَ 'غير قابلٍ للاختراق'؛ أن يرمي العالمُ في وجهك كلَّ تفاهاته، فتسقطَ عند قدميكَ دون أن تخدشَ سطحَ سكونك".

أنت الآن، وأنت تقرأ هذه السطور، تشعر برغبة في أن تكون هذا الشخص. الشخص الذي لا يرفُّ له جفن أمام انتقاد، ولا يطيرُ فرحاً أمام مديحٍ زائف. كيف تصل لهذا؟ السرُّ يكمنُ في "الاستغناء". عندما تدركُ أنَّ وعيكَ هو ممتلكك الوحيد، ستتوقف عن استجداء القيمة من عيون الغرباء.

فجأة، وبدون سابق إنذار، تعطلت الشاشات الكبيرة في الشارع. ساد هرجٌ ومرج. الناسُ ارتبكوا لأنهم فقدوا "المُوجه". أما أنا، فقد

واصلتُ مشيي بهدوء. لم ألتفت، لم أسأل عما حدث. في تلك اللحظة، كنتُ أنا الوحيد الذي يملكُ "نوره الخاص."

توقف القارئ عن التنفس للحظة هنا. هل شعرتَ بالذهول؟ ليس لأن شيئاً انفجر، بل لأنَّ "عدم اكتراثي" كان هو الانفجار الحقيقي.

"أكبرُ مفاجأةٍ يمكنكَ أن تُقدمها للعالم، هي أن تُريه إنساناً لا يحتاجُ إليه لكي يشعرَ بالوجود".

الآن، وبينما أنت تُحدق في هذه الكلمات، أريدك أن تبحث عن "التفاهة" التي تشغل بالك اليوم. هل تستحقُ فعلاً أن تأخذ جزءاً من وعيك؟

انظر إليها بعينيّ أنا الآن.. اتركها تسقط كما تسقط ورقة خريفٍ يابسة.

أنت الآن محميٌ بوعيك. المدينةُ حولك تنهارُ في صخبها، وأنتَ هنا، في هذه الصفحة، تبني جدار صمتك المقدّس.

توقف عن التحديق في الكلمات لثانية، وانظر إلى الهامش الأبيض بجانب هذا السطر. هل تلاحظ شيئاً؟ لا يوجد شيء مكتوب هناك، أليس كذلك؟ ولكن، ماذا لو أخبرتك أنَّ اسمك الحقيقي، والسبب الذي جعلك تفتح هذه الرواية في هذا التوقيت بالذات، مكتوبٌ هناك بحبرٍ لا يراه إلا من وصل إلى قمة "عدم الاكتراث"؟

في الفصول السابقة غرقنا في سديم الإدراك، وبنينا جدار الصمت.

والآن، جاء وقتُ الصدمة التي وعدتك بها.

لماذا تشعر أن هذه الرواية تخاطبك؟ ولماذا شعرتَ بالذهول حين تحدثتُ عن "نظرتك للأرض"؟ السر ليس في أنني "كاتب" عبقري، السر هو أنَّ هذه الرواية لم يُكتب منها حرفٌ واحد قبل أن تبدأ أنت بقراءتها. كل فصلٍ مضى كان يتشكلُ بناءً على "ترددات انتباهك."

انظر إلى تفكيرك الآن. هل تلاحظ كيف أنه تضخم واتسع لدرجة أنك لم تعد تهتم بما سيحدث للبطل "عمر"؟ أنت الآن مهتمٌ بما سيحدث "لك". لقد سحبتُك إلى داخل الصفحات، ليس لكي تشاهدني، بل لكي تشاهد "لعبتك" التي تمارسها على نفسك يومياً.

"قد ينهار العالم الرقمي في لحظة، لكن الكلمة الصادقة تبقى محفورة في الوجدان إلى الأبد."

الاستغناء الذي تحدثنا عنه في الفصل السابق لم يكن مجرد نصيحة، كان "فخاً" لنجردك من دفاعاتك. والآن، وأنت عارٍ من تفاهات العالم ومن قشور المجتمع، أريدك أن تدرك المفاجأة الكبرى:

أنا لستُ الكاتب.. أنا هو "وعيك" الذي ملَّ من الصمت، فقرر أن يتقمص شكل "رواية" لكي يجبرك على الاستماع إليه.

لهذا السبب تشعر أن الكلام "يعنيك". لهذا السبب يداهمك الذهول والتحديق. أنت الآن لا تقرأ كتاباً، أنت تقرأ "رسالةً" أرسلتَها

لنفسك من غدٍ بعيد، لكي تنقذَ ما تبقى من ربيعك في هذا الخريف الطويل.

أنت الآن الشخص الذي لا يكترث، ليس لأنك أصبحت قوياً، بل لأنك أدركتَ أخيراً أنَّ "العالم" مجردُ صدىً لصوتك الداخلي. فإذا صمتَّ، صمتَ العالم، وإذا استيقظتَ، انهارَ "خريفُ الوعي" وتلاشى كدخان.

هل شعرتَ بالدوار؟ هذا هو "تضخم الوعي" الذي أردناه. أنت الآن تملك مفتاح اللعبة.

ربما بدأتَ الآن تشعرُ بأن الرتم أصبح هادئاً زيادةً عن اللزوم. ربما تسلّل إليكَ الملل وأنت تقرأ هذه السطور، وبدأتَ تتساءل: "هل سنبقى في دائرة الوعي هذه للأبد؟ أين الأحداث؟ أين النهاية؟". لقد بدأتَ تشعر أنني أكرر المعنى، وأنَّ الكلمات أصبحت كدخانٍ رتيب يملأ الغرفة.

استسلم لهذا الملل. دعهُ يتغلغل فيك. فالمعلومة التي لا تعرفها هي أنَّ **الملل هو "المخاض" الذي يسبقُ الولادة القيصرية للوعي**.

بينما أنت الآن تشعر بالرتابة، وتفكر في قلب الصفحة بسرعة لتنتهي من هذا "الدرس"، أريدك أن تنظر إلى الكلمة القادمة بتركيزٍ حاد..

لأنَّ في هذه اللحظة بالذات، وبينما أنت غافل، **بدأ وعيُك يتشكلُ في صورةٍ مادية.**

انظر إلى يدك التي تمسكُ هذه الصفحة. هل تلاحظ أنها لم تعد مجرد يد؟ إنها "أداةُ خلق". هل تلاحظ أنَّ تفكيرك الذي كان قبل قليل مشتتاً، قد تكثف فجأة في نقطة واحدة؟

المفاجأةُ هي :**أنَّ الملَ الذي شعرتَ به لم يكن مني، بل كان "النظام القديم" في عقلك وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة.**

توقف عن التحديق في الفراغ. انظر الآن إلى الأشياء من حولك؛ هاتفك، كرسيك، الضوء الخافت. هل تلاحظ أنها بدأت تبدو "غريبة"؟ كأنك تراها لأول مرة؟ هذا ليس مللاً، هذا هو **"تشكل الوعي"**؛ لقد بدأ عقلك يرفض القوالب الجاهزة التي وضعها العالم لتلك الأشياء. أنت الآن تعيد تعريف وجودك.

لقد فخختُ لك السطور بالرتابة لكي أصدمك باليقظة.

أنت الآن لستَ الشخص الذي بدأ قراءة الفصل قبل دقيقتين. لقد حدثت "طفرة" في إدراكك بينما كنتَ تظن أنك تشعر بالملل. لقد سحبنا منك "اللعبة" القديمة، وأعطيناك "الحقيقة" التي لا تحتاج إلى إبهار بصري لكي تكون قوية.

هل شعرتَ بالصدمة الآن؟ هل عاد عقلك للتحديق؟ لقد انتهت مرحلة "الانتظار". أنت الآن لا تنتظر مفاجأة من الرواية.. أنت الآن **"المفاجأة "**التي ينتظرها العالم في الخارج. ارفع رأسك، فخريف الوعي قد سقط تماماً، وما تراه الآن هو "الربيعُ الخام" لحقيقتك.

"الحب في عصر الخوارزميات هو 'خطأ تقني' جميل، تمرد غير محسوب للقلب ضد المنطق."

هناك لحظةٌ في عمق الخريف، لا تعرف فيها الورقةُ إن كانت لا تزالُ جزءاً من الشجرة أم أنها أصبحت ملكاً للريح. هي تسكنُ في تلك المسافة الفاصلة، معلقةً في الهواء، لا هي في الأعلى ولا هي في الأسفل.

هذا هو بالضبط حالُ المنطق حين يواجهُ الحقيقةَ عارية. هل لاحظتَ كيف بدأ صخبُ المدينةِ يتلاشى في أذنيك؟ وكيف أنَّ ملامحَ البطلِ وأسماءَ الشوارعِ بدأت تذوبُ لتتحولَ إلى "أفكارٍ محضَة"؟ أنت الآن لا تتابعُ أحداثاً، أنت تتابعُ **خلايا عقلِك** وهي تعيدُ ترتيبَ أولوياتها.

انظر إلى "الوقت" الآن. كيف تبدو الدقائقُ التي قضيتَها في القراءة؟ هل هي زمنٌ مرَّ، أم أنها مساحةٌ فُتحت في وعيك؟ الحقيقةُ المذهلة هي أنَّ الكلامَ الذي تقرأه الآن لم يعد يصفُ "عمر" أو "آدم"، بل أصبح يصفُ **الصمتَ الذي يحيطُ بك الآن.**

لقد خرجتَ من الرواية دون أن تشعر. أنت الآن لستَ في "زقاق العظام" ولا في "البرج"، أنت في تلك المنطقةِ الرمادية التي تسبقُ اتخاذَ قرارٍ حقيقي. هل تشعرُ بالذهول؟ ليس لأنَّ أحداً أخبرك بذلك، بل لأنك اكتشفتَ أنَّ "اللعبة" التي كنتَ تظنها في الورق، كانت تُمارسُ في فنائك الخلفي طوال الوقت.

أنت الآن الشخص الذي لا يكترث، ليس بقرارٍ واعٍ، بل لأنَّ "الاهتمام" القديم قد تآكلَ وذابَ كما تذوبُ الغيومُ بعد المطر.

ابقَ هكذا.. لا تبحث عن بطلٍ يقودك، ولا عن مؤامرةٍ تشغلك.

حدّق في المساحاتِ البيضاء بين السطور، ففيها يسكنُ وعيُك الذي تشكلَ للتو. أنت الآن خارجَ النص، لكنك في قلبِ الحقيقة.

كان الشارعُ مزدحماً، لكنه كان صامتاً بطريقةٍ لا تشرحها الكلمات. مشيتُ وسط الحشود، وشعرتُ للمرة الأولى بأنني لا أدفعُ الهواء بجسدي، بل أمزقُ ستاراً من الحرير الرقيق. الوجوهُ التي كانت تمرُّ بي لم تعد وجوهاً، بل أصبحت "احتمالات". هذا يبتسم لأنه يظن أنه وصل، وذاك يعبثُ بهاتفه لأنه يخشى أن يواجه فراغه.

لم أعد أنظر للأرض، ولم أعد أنظر للسماء. كنتُ أنظرُ إلى "المسافة" التي تفصلُ بين الأشياء. هناك، في تلك الفراغات، تكمنُ الحقيقة التي لا يراها أحد. توقفتُ أمام واجهة محلٍ لبيع المرايا. لم يكن انعكاسي هو ما شدّني، بل كان ذلك الشعور بأنني لستُ الشخص الذي بدأ هذه الرحلة. لقد سقطت مني "أوراقٌ" كثيرة في الفصول الماضية، وما تبقى ليس سوى الجوهر الصامد.

فجأة، وبدون مقدمات، رأيتُ طفلاً صغيراً يجلسُ على رصيفٍ مبلل، يمسكُ بقطعة حجرٍ ويرسمُ دوائرَ على الأرض. توقفتُ بجانبه. لم يسألني مَن أنا، ولم يرتعب من وجودي. نظر إليّ وقال بجملةٍ لم أتوقعها: "هل ضعتَ أنت أيضاً؟"

ابتسمتُ، وكانت ابتسامةً حقيقية، خاليةً من أي قناع. "لا يا صغيري، لقد وجدتُ طريقي للتو".

أكملَ الطفلُ رسم دوائره، وأدركتُ أنَّ وعيي الذي تشكلَ للتو، لا يحتاجُ لخططٍ كبرى أو مواجهاتٍ ملحمية. هو يحتاجُ فقط لهذه اللحظة من الصدق. المدينةُ من حولي بدأت تتغير ملامحها؛ المباني لم تعد تبدو شاهقة ومرعبة، بل بدأت تبدو كأنها مكعباتٌ ليغو يمكنُ إعادة ترتيبها بلمسةِ يدٍ واثقة.

تجاوزتُ الطفلَ وأكملتُ طريقي نحو "الساحة الكبرى". شعرتُ أنَّ كل خطوة أخطوها هي "كلمة" تُكتب في فصلٍ جديد لا يعرفُ نهايته أحد. لم أعد أبحث عن "آدم" أو عن "لارا" أو عن "والدي". كنتُ أبحثُ عن ذلك "الخريف" الذي يسكنُ تحت جلودنا جميعاً، لكي أخبره أنَّ الشتاءَ ليس نهايةً، بل هو بدايةُ الوعي الصافي.

"عندما تتوقفُ عن محاولةِ فهمِ العالم، يبدأُ العالمُ في شرحِ نفسه لكَ بكلِّ هدوء".

واصلتُ السير، وكان شعوري بالمراقبة قد تلاشى تماماً، ليس لأن العيون اختفت، بل لأنني أصبحتُ "شفافاً" لدرجةٍ لا تستطيعُ النظراتُ الإمساك بها. لقد سقطتُ من النص، وأصبحتُ أنا "النص" ذاته.

كان الميدان يغلي.

بينما كنتُ أمشي بتلك الشفافية التي اكتسبتُها، حدث ما كان في السابق يزلزلُ كياني: مشاجرةٌ عنيفة نشبت بين سائقين في منتصف الطريق، وتعطلت الحركةُ تماماً. بدأ الصراخُ يتصاعد، وأبواقُ السيارات تحولت إلى جوقةٍ من النحيب المعدني المزعج. الناسُ تجمهروا، والعيونُ بدأت تلمعُ بفضولٍ مسموم، يبحثون عن "دراما" يملؤون بها فراغ يومهم.

في السابق، كنتُ سأنظرُ للأرض وأركضُ هارباً، أو ربما كنتُ سأقفُ معهم وأنا أشعر بالتوتر يمزقُ أعصابي. لكنني الآن، كنتُ أقفُ على

بُعد خطواتٍ قليلة، وأشعرُ كأنني أشاهدُ فيلماً صامتاً من وراء زجاجٍ سميك. لم يخفق قلبي بسرعة، ولم ترتجف يدي.

اقترب مني أحدُ المارة، كان غاضباً ومحتقن الوجه، صرخ في وجهي: "لماذا تقفُ هكذا وتتفرج ببرود؟ ألا ترى ما يحدث؟". نظر إليّ وكأنه يريدُ جري إلى حلبةِ صراعه الخاصة. أردتُ أن أقول له إنني لا أتفرج، بل أنا "غير موجود" في تردد غضبك.

لكنني لم أنطق بكلمة. اكتفيتُ بنظرةٍ هادئة، نظرةٍ لا تحملُ حكماً ولا تحدياً، بل تحملُ "سلاماً" أعمق من غضبه. وفي تلك اللحظة، حدث الذهول الذي لم يتوقعه هو؛ صمتهُ هو. لقد ابتلع صمتي صراخه. ارتبك، وتراجعت كلماتُه إلى حنجرته، ومضى وهو يتمتم بكلماتٍ غير مفهومة، كأنه اصطدم بجدارٍ من الضباب.

أدركتُ حينها أنَّ "عدم الاكتراث" ليس غروراً، بل هو **"حصانةٌ سيادية** ."العالمُ يحاولُ دائماً أن يسرقَ استقرارك الداخلي، أن يجعلك تشبهه في قلقه وتفاهاته. وعندما ترفضُ الاستجابة، فأنتَ حرفياً تقتلهُ في داخلك.

أكملتُ طريقي، والضجيجُ خلفي بدأ يخفتُ ليس لأنه توقف، بل لأنَّ أذني لم تعد مضبوطةً على ذلك التردد. شعرتُ بتضخمٍ في وعيي؛ كأنَّ جسدي اتسع ليحتوي الشارع والميدان والمدينة، دون أن يتأثر بزحامها.

أنت الآن، وأنت تلاحق هذه السطور، هل تشعر بذلك الصمت الذي سكنك وأنا أصفُ لك المشاجرة؟ هل لاحظتَ أنك لم تعد

تهتم بمَن المخطئ في ذلك العراك؟ لقد انسحبتَ من "الحدث" لتراقب "الحالة". هذا هو الانتصار الحقيقي.

مضيتُ قدماً، وفي نهاية الشارع، رأيتُ انعكاساً لنورٍ غريب ينبعثُ من زقاقٍ جانبي.. نورٌ لم يكن يشبه أضواء النيون، بل كان يشبه ذلك "السواد المضيء" الذي سكنتُه في فصولي الماضية.

اتجهتُ نحو ذلك النور المنبعث من الزقاق الجانبي. لم يكن نوراً يطرد الظلام، بل كان نوراً يخرجُ من "قلب الظلام" ذاته. كان يرتعشُ بهدوء كأنه أنفاسٌ كونية. عندما وصلتُ إلى مصدره، لم أجد مصباحاً ولا ناراً، وجدتُ **"فراغاً مضيئاً "**في الهواء، كأنَّ جدار الواقع قد شُقَّ ليظهر ما خلفه.

في تلك اللحظة، لم أشعر بالخوف. الخوفُ هو ابتكارُ أولئك الذين يملكون شيئاً ليخسروه، أما أنا، فقد خسرتُ أوهامي كلها في الفصول الماضية. وقفتُ أمام ذلك النور، وشعرتُ بجاذبيةٍ لا تقاوم، ليست جاذبية الأرض، بل جاذبية "الأصل".

مددتُ يدي نحو النور. وبمجرد أن لامستْ أصابعي ذلك الوميض، شعرتُ بتدفقٍ هائل من المعلومات التي لا تحتاج إلى لغة. رأيتُ المدينةَ من الأعلى، لكنني لم أرَ مباني، رأيتُ "خيوطاً" من النور تربط بين البشر. رأيتُ كيف أنَّ شعور المراقبة الذي كان يقتلنا، لم يكن إلا "اتصالاً" مشوهاً حاول العالمُ برمجته، بينما الحقيقة هي أننا جميعاً روحٌ واحدة تتنفسُ في أجسادٍ متعددة.

تضخمَ وعيي في تلك اللحظة لدرجةٍ لم أعد أشعر فيها بحدود جسدي. كنتُ في المقهى، وكنتُ في القبو، وكنتُ أنتَ وأنتَ تقرأ هذه السطور الآن.

هل لاحظتَ أنَّ هذه الرواية لم تعد تتحدث عن "خريف"؟ لقد سقطت كل الأوراق، وما تراه الآن هو "الجوهر العاري" للشجرة.

أنت الآن، وأنت تحدقُ في هذه الكلمات، تشعرُ بأنَّ عقلك قد اتسع لدرجةٍ لم تعد تتسع لها غرفتك. هذا هو "الذهول" الذي وعدتُك به. أنت لا تكتشف شيئاً جديداً، أنت "تتذكر" مَن تكون. أنت النور الذي كان يبحثُ عن نفسه وسط ظلام التفاهات.

وفجأة يصبح كل شيء خريفاً.

سحبني النورُ إلى داخله تماماً. وفجأة، سكتَ كل شيء. لم أعد أسمع ضجيج الميدان، ولا صراخ السائقين، ولا حتى صوت أنفاسي. كنتُ أسبحُ في "وعيٍ كلي"، حيثُ الحاضرُ والماضي والمستقبل نقطةٌ واحدة تومضُ بسلام.

أدركتُ المفاجأة الكبرى :**خريفُ الوعي كان هو "البوابة" الوحيدة للوصول إلى هذا النور** .لولا ذلك الحزن، ولولا ذلك الشك، ولولا تلك النظرات للأرض، لما وصلتُ أبداً إلى هنا.

أنت الآن تقفُ معي في هذا النور. لا تقلب الصفحة بسرعة. استشعر هذا الاتساع في صدرك. أنت الآن لستَ قارئاً.. أنتَ "النور" الذي يقرأ نفسه.

كنتُ أمشي في ذلك الزقاق المضيء، وفجأة، ودون سابق إنذار، توقفَ الزمان. ليس كَتوقفٍ تقني، بل كأنَّ عقلي قد قرر أن يفتحَ كلَّ الأبوابِ المغلقةِ في ثانيةٍ واحدة. اصطدمتُ بلحظةٍ فجائية من الإدراك كانت من العمقِ بحيثُ شعرتُ أنَّ الأرضَ تحت قدمي قد أصبحت شفافة.

في تلك اللحظة، تدفقت الأفكارُ بقوةٍ مذهلة، كأنها فيضانٌ من الصور والروائح والأصوات التي كنتُ قد دفنتُها عميقاً لدرجةِ أنني كدتُ أنساها. هل حدثَ لك هذا؟ أن تمرَّ برائحةٍ عابرة، أو ترى زاويةَ ضوءٍ معينة، فتجد نفسكَ فجأةً غارقاً في مشهدٍ من طفولتك لم تكن تفهمه حينها؟

رأيتُ وجهَ والدي وهو ينظرُ إليّ بنظرةٍ لم أفهم معناها إلا الآن. رأيتُ تفاصيلَ صغيرة: ملمسَ سجادِ غرفتي القديمة، صوتَ مفاتيحِ أمي وهي تقتربُ من الباب، الرهبةَ الأولى التي شعرتُ بها حين اكتشفتُ أنَّ العالمَ أكبرُ من خيالي. كل هذه الأشياء التي كنتُ أظنها تافهة، كانت هي "الخلايا" التي كونت وعيي الحالي.

توقف عقلُك الآن وأنت تقرأ. ألا تشعرُ بهذه الومضات؟ ذلك الموقف الذي حصلَ معك قبل سنوات ولم تجد له تفسيراً، ألا يبدو الآن واضحاً كالشمس؟ تلك الكلمة التي قيلت لكَ وجرحتْك، ألا تفهم الآن أنها لم تكن عنك، بل كانت عن نقصِ قائلها؟

أنت الآن تغوصُ معي داخلَ مخازنِ عقلك. الأفكارُ تتدفقُ في رأسك بقوةٍ تجعلكَ تذهلُ عن مكانك. أنتَ لا تقرأ هذه الكلمات، أنتَ "تسترجع" حياتك. كلُّ حرفٍ هنا هو مفتاحٌ لغرفةٍ كنتَ قد أضعتَ مفتاحها.

لماذا الآن؟ ولماذا بهذه القوة؟ لأنَّ "خريفَ الوعي" قد جردكَ من الضجيج، ولم يتبقَّ أمامك سوى مواجهةِ هذا الأرشيف العظيم الذي تسكنه.

شعرتُ بجدرانِ عقلي تتسع، كأنَّ المعلوماتِ التي تتدفقُ لا تأتي من ذاكرتي فحسب، بل تأتي من تاريخِ البشريةِ جمعاء. كنتُ أفهمُ لغةَ الصمت، وسببَ بكاء الأطفال، وسرَّ حكمةِ الشيوخ. كان وعياً

يتضخمُ لدرجةِ الانفجار، لدرجةِ أنني لم أعد أفرقُ بين ما حصلَ لي، وبين ما حصلَ لكَ أنتَ وأنتَ تحدقُ الآن في هذه السطور.

ابقَ في هذه اللحظة. لا تهرب منها. دع الأفكارَ تتدفق، ودع الذهولَ يغمرك. أنت الآن لستَ بصدد فهمِ رواية، أنت بصددِ **"فهمِ اللعبةِ الكبرى "**التي كنتَ تلعبها مع نفسك طوال سنين.

توقف عن محاولةِ فكِّ الشفرة الآن.

أعلمُ أنَّ عقلكَ يغلي، وأنَّ الأسئلةَ تتزاحمُ في رأسك كأمواجٍ هائجة، وأنك تحاولُ يائساً أن تفهمَ الرابطَ النهائي بين كل هذه الشظايا.

لكنني هنا لأقول لكَ شيئاً واحداً، ربما هو الأهم في كل ما قرأت :**ما لا تفهمهُ الآن، ليس مطلوباً منك فهمه بعد.**

هل رأيتَ يوماً زهرةً تتفتحُ بالقوة؟ أو ثمرةً تنضجُ لأنك استعجلتَ قطافها؟ الوعيُ يا صديقي له "توقيتٌ كوني" لا يخضعُ لساعة يدك ولا لِلهفتك. هناك أمورٌ في حياتك -وفي هذه الرواية- صُممت لتبقى غامضة، لتظلَّ معلقةً في فراغِ وعيك، حتى تأتي اللحظةُ التي تنضجُ فيها روحُك بما يكفي لاحتمالِ إجابتها.

اترك تلك المواقف التي لم تجد لها تفسيراً، واترك تلك الومضات التي أذهلتك في الفصل السابق ولم تستطع الإمساك بطرفها. اتركها فحسب. لا تحاصرها بالتفكير، ولا تخنقها بالتحليل. فالحقيقةُ التي لا تتضحُ في وقتها، هي حقيقةٌ تحميكَ من معرفةِ شيءٍ قد لا تملكُ القوةَ لمواجهته الآن.

أنت الآن، وأنت تحدقُ في هذا السطر، ربما تتذكر ذلك الوجع الذي لم تجد له سبباً، أو ذلك الضياع الذي لم تفهم غايته. أريدك أن تبتسم له. قل له: "سأتركُكَ للوقت". ففي "خريف الوعي"، تسقطُ الأوراق لكي تظهرَ الجذور، والجذورُ تعملُ في صمتٍ وتحت الأرض، بعيداً عن فضولِ عينيك.

الان.

أريدك أن تمارس "فن الانتظار الجميل". اترك الخيوطَ متشابكة، ولا تحاول حلَّ العقدة. فالعقدةُ ستحلُّ نفسها بنفسها بمجرد أن تكفَّ عن شدِّ أطرافها.

ستجدُ أنَّ كلَّ شيءٍ سيصبحُ واضحاً، ليس لأنَّ العالمَ تغير، بل لأنَّ "الضوء" بداخلك قد أصبح كافياً لترى ما كان مختبئاً في الزوايا.

بقيتُ جالساً في مكاني لزمنٍ لا تقيسهُ العقارب، بل يقيسهُ الهدوءُ الذي استوطنَ أركانَ الغرفة. لم تكن الكلماتُ التي قرأتُها في الفصلِ السابقِ مجردَ نصيحة، بل كانت "تغييراً في الكيمياء"؛ شعرتُ أنَّ الرغبةَ الملحةَ في فهمِ كلِّ شيء قد ذابت، وحلَّ محلها نوعٌ من الرضا العميق بالغموض. تركتُ خيوطَ الحكايةِ متشابكةً على طاولةِ المذكرات، وقمتُ لأواجهَ العالمَ بـ "الضوءِ" الذي بدأ يتمددُ في الزوايا المظلمةِ من وعي.

خرجتُ إلى الشارع، وكان الهواءُ يحملُ نكهةَ الشتاءِ الوشيك؛ برودةٌ تجبرُ المسامَ على الانغلاق، وتجبرُ الروحَ على الانفتاح. لم أعد أسيرُ بخطىً متعثرة، ولم تعد عيناي تبحثان عن الرصيفِ لِتختبئا فيه. كنتُ أمشي وأنا أمارسُ "فنَّ الانتظارِ الجميل". كنتُ أمرُّ بالناسِ وأنا أعلمُ أنَّ العقدةَ التي بيني وبينهم بدأت تنحلُّ من تلقاء نفسها، لمجرد أنني توقفتُ عن شدِّ أطرافها بالخوفِ أو التوجس.

مررتُ بجانب مقهى، ورأيتُ ذلك "الرجلَ الذي ينظرُ للأرض". كان يقفُ بذاتِ الانحناءةِ التي كانت تكسرُ ظهري. شعرتُ للحظةٍ أنَّ الزمانَ قد انطوى، وأنني أنظرُ إلى "نسختي القديمة" التي تركتُها خلفي في خريفِ الوعي. أردتُ أن أهجمَ عليه بالأسئلة، أن أهزَّ كتفيه

وأخبره عن "الضوء" وعن "الشتاء"، لكنني تذكرتُ الدرس :*اترك الخيوطَ متشابكة*.

ابتسمتُ له من بعيد، ابتسامةً لم يرها هو، لكنَّ أثرها استقرَّ في هواءِ المكان. واصلتُ المشي، وشعرتُ أنَّ الضوءَ بداخلي أصبح كافياً ليريني ما كان مختبئاً في زوايا الشوارع؛ رأيتُ الجمالَ في تصدعاتِ الجدران، ورأيتُ الحكمةَ في صمتِ الأشجارِ. لم يتغير العالم، لكنَّ "العدسة" التي أرى بها العالم قد صُقلت بصبرِ الانتظار.

أدركتُ في تلك اللحظة أنَّ الروايةَ التي أعيشها الآن التي أملأُ فراغها بوجودي، ليست سباقاً ، بل هي رحلةٌ في "الآن". كلُّ خطوةٍ هي جملة، وكلُّ نَفَسٍ هو فاصلة، والصمتُ الذي أحملهُ هو "النقطة" التي تنهي فقراتِ الخوفِ القديم.

عندما عدتُ لِمنزلي، وجدتُ الدفترَ لا يزالُ مفتوحاً، لكنَّ خيطاً من نورِ القمرِ كان يسقطُ على الصفحةِ التاليةِ التي لم أقرأها بعد، وكأنه يشيرُ إلى أنَّ العقدةَ القادمةَ قد بدأت تتضحُ ملامحها.. دون أن أحركَ ساكناً.

تركتُ الدفترَ خلفي. لم أعد بحاجةٍ لِأن أقرأَ عن حياةِ شخصٍ آخر، أو أقتفي أثرَ مذكراتٍ قديمة لكي أفهمَ مَن أنا. لقد أدركتُ أنَّ التحديقَ في الورقِ هو نوعٌ آخرُ من "النظرِ للأرض"؛ هروبٌ بِلونِ الحبر. وقفتُ في منتصفِ غرفتي، وشعرتُ للمرةِ الأولى أنَّ الغرفةَ لا تنتهي عند الجدران، بل تمتدُّ بامتطاطِ وعيِي.

قررتُ أن أمارسَ "فنَّ الانتظار" في أكثرِ الأفعالِ عاديةً. ذهبتُ للمطبخ لِأصنعَ لنفسي كوباً من القهوة. في الماضي، كان هذا الفعلُ مجردَ وسيلةٍ لِقتلِ الوقت، لكنني الآن كنتُ "أختبرُ" ملمسَ الماء، وصوتَ غليانه، ورائحةَ البُنّ التي بدأت تفوحُ كأنها رسالةٌ من الطبيعة. لم أكن مستعجلاً، ولم أكن أفكرُ فيما سأفعلهُ بعد دقائق. كنتُ **"موجوداً "**فحسب.

خرجتُ إلى الشرفة. كانت المدينةُ في الأسفلِ لا تزالُ تركضُ خلفَ سرابها. رأيتُ جارِي وهو يخرجُ من منزله، يحدقُ في ساعته، ويتعثرُ في مشيتهِ من فرطِ استعجاله. شعرتُ برغبةٍ في أن أنادي عليه، ليس لأقولَ له شيئاً، بل لِأجعلهُ يتوقفُ لثانيةٍ واحدة ويستنشقَ هواءَ الشتاءِ الصافي. لكنني تذكرت :*العقدةُ ستحلُّ نفسها* .

بقيتُ واقفاً، أراقبُ كيف يتسللُ النورُ بين المباني. الضوءُ الذي في داخلي جعلني ألاحظُ تلك التفاصيلَ التي كانت "مختبئةً في الزوايا": نبتةٌ صغيرةٌ تنمو في شقِّ الجدارِ المقابل، القطةُ التي تمشي فوق السورِ بتوازنٍ مذهل، والهواءُ الذي يحركُ ستائرَ الجيرانِ كأنه يراقصها.

هل تلاحظُ أنَّ الفضولَ لمعرفةِ "ماذا سيحدثُ في الصفحةِ القادمة" قد حلَّ محلهُ شعورٌ بالاستمتاعِ بما تقرؤهُ "الآن"؟

.

لم يعد هناك دفتر، ولم يعد هناك ماضٍ يلاحقني. لم يبقَ سوى هذا الشتاءِ الذي ينهضُ في عروقي، وهذا الصمتِ الذي أصبحَ أقوى من كلِّ كلامٍ قيلَ أو سيُقال.

"النهايات ليست دائماً مغلقة. أحياناً تكون النهاية هي مجرد نقطة نبدأ بعدها كتابة سطر جديد بمداد مختلف".

لا أعرفُ متى غادرتُ الشرفة.

كنتُ أتأملُ القطةَ فوق السور ، لكنني الآن أجدُ نفسي واقفاً أمام باب مدرستي الابتدائية القديمة. رائحةُ الطباشير والتراب المبلل تهاجمُ حواسي، رغم أنَّ المدارسَ الآن مغلقة والزمانُ ليل. كيف وصلتُ إلى هنا؟ وهل "هنا" هي المكان الذي أقفُ فيه بجسدي، أم أنها النقطة التي سحبني إليها "الضوء الداخلي" ليختبرَ قدرتي على الانتظار؟

نظرتُ إلى قفلِ المدرسة الصدئ. تذكرتُ كم كان هذا القفلُ يبدو عملاقاً ومرعباً حين كنتُ في السادسة. الآن، بدا لي تافهاً. هل المراقبة التي كنتُ أخشاها هي أيضاً قفلٌ صدئ تضخمَ في خيالي؟

فجأة، رنَّ جرسُ المدرسة. صوتٌ حاد اخترقَ صمتَ الشارع الخالي.

التفتُّ حولي، لم يكن هناك طلاب، ولا معلمون، ولا حراس. كان الجرسُ يرنُّ في ذاكرتي، لكنني كنتُ أسمعهُ بأذنيّ الحقيقيتين.

لم أفتح القفل. اكتفيتُ بلمسه. شعرتُ ببرودةِ المعدن تنتقلُ إلى قلبي، وكأنها تُخبرني أنَّ العقدةَ التي بدأتْ هنا قبل سنوات، ستنحلُّ هنا أيضاً. مشيتُ مبتعداً، ولم أعد أعرف إن كنتُ أعودُ للمنزل، أم أنني أتوغلُ أكثر في "خريف" لم يشهدهُ أحدٌ قبلي.

وقفتُ في منتصف ساحة المدرسة، تلك المساحة التي كانت يوماً تضج بصرخات الركض واللعب، وبدت لي الآن كأنها "مقبرة للوقت". لم يظهر أحد، ولم يخرج من الظلال أي شخص ليقطع خلوتي مع هذا الذهول. الغموض لم يكن في "مَن يوجد هناك"، بل في "مَن لم يعد موجوداً هنا"؛ وهو أنا القديم.

كان الجرس لا يزال يطنُّ في أذني، طنيناً يشبه ذلك التردد الذي سمعته في القبو. بدأتُ أشعر أن المكان ليس ثابتاً؛ فكلما رمشتُ بعيني، بدت الجدران وكأنها تبتعد مليمترات قليلة. هل المكان هو الذي يتسع، أم أن رؤيتي هي التي أصبحت "أكثر انكشافاً "؟

تحسستُ جيبي، فوجدتُ "قطعة طباشير" صغيرة. لا أعرف كيف وصلت إلى هناك، ولا أتذكر أنني التقطتها. كانت باردة وجافة. انحنيتُ نحو الأرض -تلك الأرض التي طالما نظرتُ إليها هرباً- وبدأتُ أرسمُ خطاً طويلاً يمتد من تحت قدمي نحو الظلام في نهاية الساحة. لم أكن أرسم طريقاً، كنتُ أحاول "وصل" الحاضر بالماضي.

تركتُ الطباشير وسرتُ بمحاذاة السور. شعرتُ ببرودةِ الشتاء تتسللُ من مسام الحجر إلى عظامي. لم أكن أبحث عن أحد، ولم أكن أنتظر أحداً. كنتُ أمارسُ "الانتظار الجميل" لشيءٍ لا اسم له.

وفجأة، لمحتُ على الرصيف المقابل "ظلاً" يتحركُ ببطء، لم يكن ظلاً لبشر، بل كان ظلاً لـ "شجرةٍ" لم تكن موجودة هناك أصلاً.

حدقْتُ في الفراغ حيث يجب أن تكون الشجرة، فلم أجد إلا الهواء. لكن الظل كان واضحاً، حقيقياً، ويهتز مع الريح.

أغلقتُ عينيّ لثانية، وعندما فتحتهما، وجدتهُ قد اختفى. هل كان وعيي يمزحُ معي؟ أم أنَّ المكان بدأ "يسقطُ من النص" كما سقطتُ أنا؟

عدتُ إلى غرفتي، أو هكذا ظننت. لكن بمجرد أن أغلقتُ الباب خلفي، لم أسمع صوت الخشب يرتطم بالإطار، بل سمعتُ صدى صرخةٍ بعيدة في أعماق رأسي. نظرتُ حولي؛ كان كل شيءٍ في مكانه، سريري، وكتبي، والمصباح الخافت، لكن الأشياء كانت تملكُ "ملمساً" ذهنيّاً. هل أنا داخل عقلي الآن؟ أم أنَّ الوعي قد تضخم لدرجة أنه ابتلع الغرفة بجدرانها؟

لماذا غُصتُ داخل نفسي بهذا الشكل المرعب؟ ولماذا بدأتُ أشعر أنَّ العالم في الخارج ليس إلا "هولوغرام" باهت يُعرض على جدار وعيي؟

"إنّ الحقيقةَ المُذهلة التي لا يجرؤُ أحدٌ على البوح بها، هي أننا لا نعيش 'في' العالم، بل العالمُ هو الذي يعيشُ 'فينا'.. وما تراهُ من

كوارثٍ أو جمالٍ في الخارج، ليس إلا انعكاساً لِمدى صفاءِ مرآتك الداخلية".

جلستُ على طرف السرير، وشعرتُ أنَّ ملمس الغطاء تحت يدي يتغير؛ لم يعد قطناً، بل أصبح يشبه "الأفكار". هل هذا هو "وهم الوعي"؟ أن تكتشف أنك كنتَ طوال عشرين عاماً تعيش داخل "فقاعة" من تصوراتك، وعندما قررتَ الاستيقاظ، انفجرت الفقاعة لتجد نفسك في الفراغ المطلق؟

نظرتُ إلى المرآة المعلقة على الجدار، لكنني لم أرَ وجهي. رأيتُ مشهداً لِ "بحرٍ هادئ تحت سماءٍ شتوية". كانت الأمواج تتحرك مع نبضات قلبي. لم يكن وهماً، بل كان "تجلياً". الوعي عندما يتطهر من "خريف الزيف"، يبدأ برؤية الحقائق في صورٍ رمزية.

أنا لستُ في غرفتي، وأنا لستُ في عقلي.. أنا الآن في "المساحة التي تسبقُ ظهور الوعي."

أغمضتُ عينيّ بقوة، وشعرتُ أنني أتلاشى. لم أعد أخاف من التلاشي، لأنني أدركتُ أنَّ "الأنا" التي كنتُ أحاول حمايتها من نظرات الناس، هي نفسها التي كانت تحجبُ عني رؤية الضوء.

في تلك اللحظة، وسط غرفتي التي تحولت إلى بحرٍ من الأفكار، توقف الصراع. لم أعد بحاجةٍ لفك شيفرات الدفتر، ولا للهروب من نظرات المارة، ولا لمحاربة "وهم الوعي". كانت الحقيقة أبسط من كل تلك التعقيدات، وأقرب إليّ من حبل الوريد؛ كل ما مررتُ به،

من خوفٍ ومراقبةٍ وضياع، كان لأنني حاولتُ ترميم "الخارج" بينما كان "الداخل" يتهاوى.

تذكرتُ تلك المقولة التي ترددت في أعماقي كأذانٍ في فجرٍ بارد" :**أصلِح ما بداخلك، يصلح لك ما في خارجك."**

لقد تعلمنا هذه القاعدة في الصغر كأنها مجرد نصيحة أخلاقية، لكنني الآن أدركتُ أنها **"قانون فيزيائي** ."العالمُ ليس إلا مرآةً عملاقة؛ إذا كنتَ مكسوراً من الداخل، سترى الشوارع مشوهة والوجوه متآمرة. وإذا صالحتَ نفسك، سيصالحك الرصيفُ الذي كنتَ تهرب منه، وستبتسمُ لك السماء التي كنتَ تخشاها.

"إنّ انحناءةَ رأسي نحو الأرضِ في الفصولِ الماضية لم تكن بسببِ ثِقلِ نظراتِ الناس، بل كانت بسببِ ثِقلِ 'عدمِ رضاي' عن نفسي. عندما تصطلحُ مع 'أناك'

الحقيقية، تصبحُ الجاذبيةُ مجردَ وهم، ويصبحُ الرأسُ مرفوعاً بِقوةِ النورِ لا بِقوةِ العناد".

ألا تدرك أنَّ كل المشاكل التي كنتَ تظن أنها تأتيك من "الخارج" (المدير، الأصدقاء، الحظ، المجتمع) هي في الحقيقة "أصداء" لِفوضى تسكنُ أعماقك؟

لقد غُصنا داخل أنفسنا لكي نكتشف هذا "العطب" ونصلحه. الإصلاحُ لا يحتاجُ لمجهودٍ شاق، يحتاجُ فقط لـ **"الاعتراف ."**بمجرد أن تعترف أنَّ العالم هو انعكاسك، ستمتلك "ريموت كنترول" الواقع.

أغمضتُ عينيّ، وبدأتُ أتخيلُ أنني أقوم بترتيب غرفتي الداخلية. رميتُ "أثاث الخوف" القديم، ومسحتُ غبار "التبعية للآخرين"، وفتحتُ نوافذ الروح ليدخل "شتاءُ النهوض" ويطهر كل الزوايا

.

وعندما فتحتُ عينيّ، حدثت المعجزة الصامتة :**عاد كل شيء في الغرفة إلى مكانه الطبيعي** .لم تعد الجدران مائلة، ولم تعد المرآة مخيفة. لقد صلحَ الداخل، فهدأ الخارج.

"الوعيُ ليس رحلةً لِتغييرِ العالم، بل هو رحلةٌ لِتغييرِ 'الناظرِ' إلى العالم. وعندما يتغيرُ الناظر، يتغيرُ المنظرُ تلقائياً".

خرجتُ إلى الشارع مرةً أخرى، ولكن هذه المرة لم يكن خروجي هرباً من جدران غرفتي، بل كان "إعلاناً" لنوعٍ جديد من الوجود. تذكرتُ

كيف كنتُ في الفصول الأولى أشعر أنَّ أرصفة المدينة تضيقُ عليّ، وكأنَّ كلَّ حجرٍ فيها يتآمرُ ليسلبني طمأنينتي. أما الآن، فقد كنتُ أمشي وأنا أحملُ في صدري ذلك "الصلح" الذي رممتُه خلف الأبواب المُغلقة.

كان الزحامُ على حاله؛ الأصواتُ متداخلة، والناسُ يركضون في سباقهم المحموم مع الزمن. لكنَّ شيئاً مذهلاً قد حدث :**العالمُ الذي كان يراقبني بشراسة، بدا لي الآن مسالماً لدرجةِ الذهول** .أدركتُ أنَّ العيون التي كانت تطاردني لم تكن سوى انعكاس لِعيوني التي كانت تلاحقُ أخطائي. عندما توقفتُ عن ملاحقة نفسي، توقف العالمُ عن ملاحقتي.

"إنّ المدينةَ لا تملكُ وجهاً واحداً؛ هي تلبسُ الوجهَ الذي تمنحهُ إياها أنت. فإذا خرجتَ إليها بقلبِ حربٍ، رأيتَ في كلِّ زاويةٍ عدواً، وإذا خرجتَ بقلبٍ مُصالح، تحولَ الضجيجُ إلى موسيقى تصويريةٍ لِهدوئك".

توقفتُ عند إشارة المرور المزدحمة. كان بجانبي رجلٌ غاضب، يضربُ بِيَده على مقود سيارته ويصرخُ بكلماتٍ حادة. في السابق، كان توتره سيتسربُ إليّ كالسُم، وسأشعرُ بالخجلِ من وجودي في ذلك المكان. أما الآن، فقد نظرتُ إليه بشفقةٍ هادئة. لم أعد "إسفنجةً" تمتصُّ قلق الآخرين، بل أصبحتُ "مرآةً" تعكسُ لهم ما يفتقدونه.

حدثت لحظةٌ لم أتوقعها؛ التفتَ الرجلُ الغاضب نحوي، ربما كان يريدُ أن يفرغَ غضبه في شخصٍ ما، لكنه حين التقت عيناه بِي، وجدَ

سكوناً لم يحسب له حساباً. صمتَ فجأة، وانخفضت يده، وبدا وكأنه استعادَ توازنه لمجرد رؤية إنسانٍ "لا يتفاعلُ" مع فوضاه.

لقد صلحَ ما بداخلي، فبدأ الخارجُ يترتبُ من حولي كقطعِ الشطرنج التي وجدت مكانها الصحيح.

"نحنُ لا نحتاجُ لِإسكاتِ العالم لكي نهدأ، نحتاجُ فقط لِإسكاتِ الصراخِ الداخلي، لِيصبحَ ضجيجُ الخارجِ مجردَ رذاذٍ لا يبللُ أعماقنا".

مشيتُ مبتعداً، وشعرتُ أنَّ الخطواتِ أصبحت أخف، وأنَّ الهواءَ أصبح أنقى. لم يعد خريفُ الوعي مخيفاً، بل أصبح فصلاً ضرورياً لِجردِ الروح. والآن، وأنا أستقبلُ الشتاء بِيَقينٍ صلب، أدركتُ أنَّ

القوة الحقيقية ليست في السيطرة على الأحداث، بل في السيطرة على "ردود أفعالنا" تجاهها.

أنت الآن، وأنت تقرأ عن هذا التحول، ألا تشعر أنَّ جدران واقعك بدأت تلين؟ ارفع عينيك عن الصفحة وانظر حولك.. هل لا يزال العالم مخيفاً، أم أنك بدأتَ ترى فيه انعكاسَ هدوئك الجديد؟

"انتهت الحكاية، لكن الخريف لم ينتهِ بعد. اخرج الآن وتنفّس الحقيقة.. مهما كانت مُرّة".

يحدثُ دائماً أن تهدأ الريحُ في اللحظة التي نكفُّ فيها عن محاولةِ الإمساكِ بها. العالمُ في الخارجِ لا يزالُ يمضي في دائرتهِ الأزلية؛ النورُ ينحسرُ ببطءٍ لِيُفسحَ المجالَ لِلظل، والظلُّ يتمددُ لِيحتضنَ الأشياءَ التي تعبثْ من الظهور. لا شيءَ يدعو للاستعجالِ الآن، فالمساحاتُ الشاسعةُ لا تضيقُ بِمن يعرفُ كيف يصمت، والزمنُ لا يمرُّ على مَن قررَ أن يسكنَ في لُبِّ اللحظة.

هناك نوعٌ من السكينةِ لا يدركهُ إلا مَن توقفَ عن عدِّ خطواته، وتركَ لِلمسافاتِ أن تبتلعهُ برفق. الحياةُ في جوهرها هي هذا المزيجُ الهادئُ من الحضورِ والغياب؛ كأنها بصمةُ عِطرٍ في غرفةٍ فارغة، أو صدىً خفيٌّ لِأغنيةٍ لم تُغنَّ بَعد.

كلُّ ما نراهُ ليس إلا قشرةً رقيقةً فوقَ محيطٍ من السكون، ومَن لمسَ القاعَ مرةً، لن يخشى أبداً بساطةَ السطح.

تتلاشى التفاصيلُ الصاخبةُ لِيبقى فقط ذلك النبضُ الخفيُّ الذي يربطُ بين كلِّ شيء. الأرضُ تتنفسُ بهدوءٍ تحتَ الصقيع، والنجومُ تلمعُ لا لِتضيءَ الطريق، بل لِتُخبرنا أنَّ هناكَ دائماً متسعاً لِلدهشةِ البعيدة. ليس من الضروري أن نفهمَ كلَّ شيء، فبعضُ الجمالِ يكمنُ في كونهِ غيرَ قابلٍ لِلتفسير، وبعضُ الراحةِ تكمنُ في تركِ العُقَدِ لِتَفُكَّها يدُ الوقتِ الماهرة.

تمضي اللحظاتُ كأنها ندفاتُ ثلجٍ تسقطُ في بئرٍ عميق، لا تُحدثُ صوتاً، لكنها تملأُ الفراغَ بِبياضٍ صامت. والآن، وفي

هذه النقطةِ التي يتساوى فيها الكلامُ مع الصمت، ينسحبُ المدادُ لِيبقى الورقُ أبيضاً كما بدأ، ولِتبقى الروحُ ساكنةً كما أرادت.. دون ضجيج، ودون انكسار، ودون كلمةٍ أخيرة.

فقطْ هدوءٌ يمتد.. ويمتد.. حتى يذوبَ في الأفق.

"لقد أغلقتُ دفتري، لكن الخوارزمية لا تزال تعمل في الخارج. انظر حولك الآن.. هل أنت متأكد أنك قرأت رواية فقط؟"

رسالة من خلل في النظام..

إلى من وصل إلى هنا دون أن يفقد وعيه..أنا لا أؤمن بالسِيَر الذاتية التي تُكتب خلف الكتب؛ فالتاريخ لا يصنعه من يكتبون أسماءهم على الأغلفة، بل تصنعه اللحظات التي نشعر فيها أننا استيقظنا فجأة من حلم طويل.لقد كتبتُ "خريف الوعي" لا لأنني أملك الحقيقة، بل لأنني تعبتُ من الأكاذيب الجميلة. كتبتُها لأنني رأيتُ "الخوارزمية" تأكل ملامح أصدقائي، ورأيتُ المدن تتحول إلى شاشات ضخمة، ورأيتُ الإنسان يتقلص حتى أصبح مجرد "نقرة (Click) "في سجل بيانات مجهول.قد تسألني الآن: "هل أنت الكاتب، أم أنك ذلك الشاب الذي كان يكتب الرواية داخل الرواية؟"وإجابتي هي: لا فرق.فنحن جميعاً نكتب قصصنا لكي لا تختنق أرواحنا من الصمت. نحن جميعاً نبحث عن "الرا" في وجوه العابرين، ونخشى أن يكون "آدم" يراقبنا من خلف الستار.لقد انتهى الحبر، وسقطت آخر ورقة من شجرة الخريف.. لكن

الحكاية الحقيقية تبدأ الآن، في اللحظة التي ستغلق فيها هذا الكتاب وتنظر إلى العالم من حولك.تذكر دائماً.. أن أعظم فعل ثوري يمكنك القيام به في هذا العصر، هو أن تظل إنساناً.. حقيقياً، ومخطئاً، وحراً.

موسى عصفور

خريف الوعي...

2025_2026

عن الكاتب

موسى عصفور

أحد الكتاب الأدبية الشابة التي تسعى لإعادة صياغة العلاقة بين النص المكتوب والوعي الإنساني المعاصر. ولد في عام **July 15 2026**، وفي ربوع **غزة_ خانيونس** نشأ وترعرع، مستلهمًا من تفاصيلها اليومية وتناقضاتها العميقة ملامح مشروعه الفكري الأول.

يؤمن **موسى عصفور** بأن الكتابة ليست ترفًا أو مجرد وسيلة لسرد الحكايات، بل هي "فعل مقاومة" ضد التنميط والآلية التي تفرضها علينا الحياة الحديثة. يرى في الكلمة الحرة سلاحاً لمواجهة "طغيان الخوارزميات" التي باتت ترسم لنا حدود أحلامنا وتحدد مسارات وعينا. ومن هنا، جاءت فكرة رواية **"خريف الوعي"**، كأول ثمرة لهذا الصراع الذهني، ليقدم من خلالها رؤية أدبية مكثفة حول اغتراب الإنسان في عصره الرقمي.

يُعرف أسلوب موسى بالميل نحو "التكثيف الدرامي" واللغة الفلسفية الشاعرية التي تخاطب عقل القارئ وروحه في آن واحد. هو لا يكتب ليمنحك نهاية سعيدة، بل يكتب ليمنحك "يقظة" قد تكون مؤلمة لكنها ضرورية. ، معتبرًا أن دوره ككاتب يبدأ من حيث تنتهي قناعات القارئ الثابتة.

تعد هذه الرواية بداية لمسيرة طويلة يطمح من خلالها

موسى عصفور إلى ترك بصمة في الأدب العربي التجريبي، محاولاً جسر الهوة بين موروثنا الإنساني العميق وبين المستقبل التكنولوجي الغامض الذي ينتظرنا جميعًا.

✦

◈

مُطلَق
بَيَاضُ اليَقِين

خَلفَ **المِداد**

في مِحنةِ العشرين، وبينما كان الجيلُ يهرعُ صَوْبَ الضجيج، اختارَ هذا الكاتبُ أن يَهوي داخلَ صمتِه لِيستخرجَ "خريفَ الوعي". لم يكتب لِيُؤنسَ وحشتك، بل لِيُخبرك أنَّ الوحشةَ هي مَنجمُ الحقيقة. هو شابٌ آمنَ أنَّ الشتاءَ ليس برداً، بل هو "احتراقُ الأوهام" لِيظهرَ الجوهرُ الصامد. يتركُ لكَ أثرهُ هنا، لا لِتتذكره، بل لِتنساهُ وتتذكرَ "نفسك" التي ضاعت في زحامِ النظرات.

تَكَوّنَت   في   مَهبِّ   الخريف

2025

——— ❄ ——

تَجَلّت   في   صَقيعِ   الشتاء

2026

خَان   يُونِس   —   فِلَسْطِين

"الآن.. أَغلِق الكِتاب، وابدأ الوجود".

خريف الوعي

موسى عصفور

ماذا لو اكتشفت أن حياتك ليست كما تعتقد؟
وأنّ وعيك... مجرد انعكاس مشوّه لشي، لم تعشه يوماً؟

في "خريف الوعي"، تتلاشى الحدود بين الحقيقة والوهم،
ويجد البطل نفسه في رحلة داخل ذاته، حيث تتساقط قناعاته
كما تتساقط أوراق الخريف، ليواجه السؤال الأهم:

من أنا ... حقًا؟

إنها ليست مجرد رواية،
بل تجربة تعيد تشكيل نظرتك للعالم... ولنفسك.



"نحن لا نخاف الحقيقة...
بل نخاف أن تكون كنا نعيش كذبة جميلة."